

د. عبد الله بن سلمان الفيفي

تبني النظام الإيراني للفلسفة

وأثره على شرعية ولاية الفقيه



تبني النظـام الإيراني للفلسفـة

وأثـــره على شرعيـــة ولايـــة الفقيـه

ح دار طيبــة الخضــراء، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الفيفي، عبد الله بن سلمان بن سليمان الظلمي
تبني النظام الإيراني للفلسفة وأثره على شرعية ولاية الفقيه. / عبد الله بن سلمان بن سليمان الظلمي الفيفي . - مكـــة المكـرمـة، ١٤٤٢هـ
٧٩ ص؛ ١٥×٢١ سم
ردمـــك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٣١٠-٥٧-١
١. الإمامة عند الشيعة ٢. الفكر الشيعي ٣. إيران-الأحوال السياسية
أ. العنوان
ديوي ٢٤٧,١ ١٤٤٢/٦٤١٥

رقم الإيـداع: ١٤٤٢/٦٤١٥
ردمـــك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٣١٠-٥٧-١

يمكنكم طلب الكتب
عبر متجرنا الإلكتروني

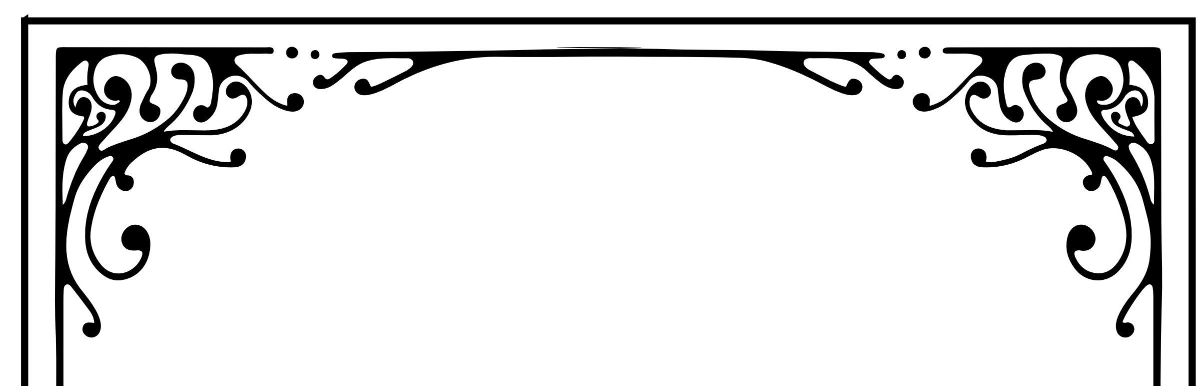


حيثما كنت يصلك طلبك

الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

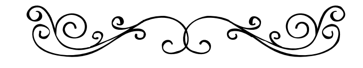


dar.taibagreen123
dar_tg
@dar_tg
dar.taiba
dartaibagreen@gmail.com
yyy.01@hotmail.com
012 556 2986
055 042 8992
مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه

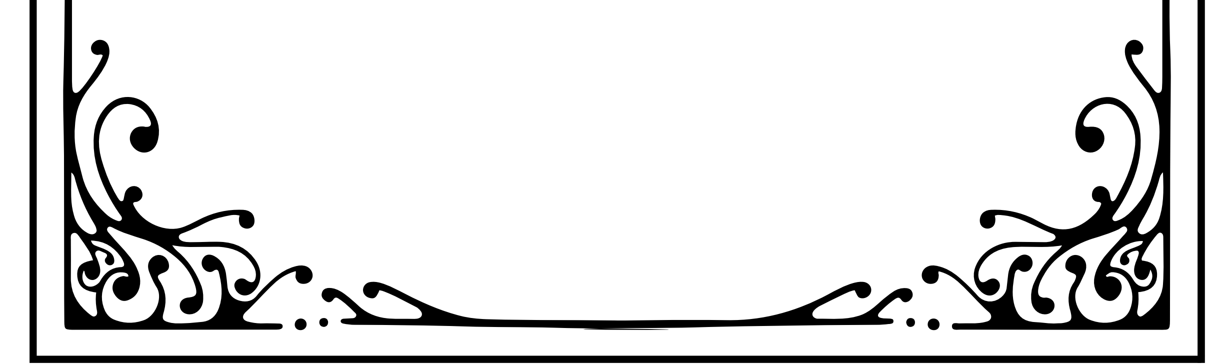


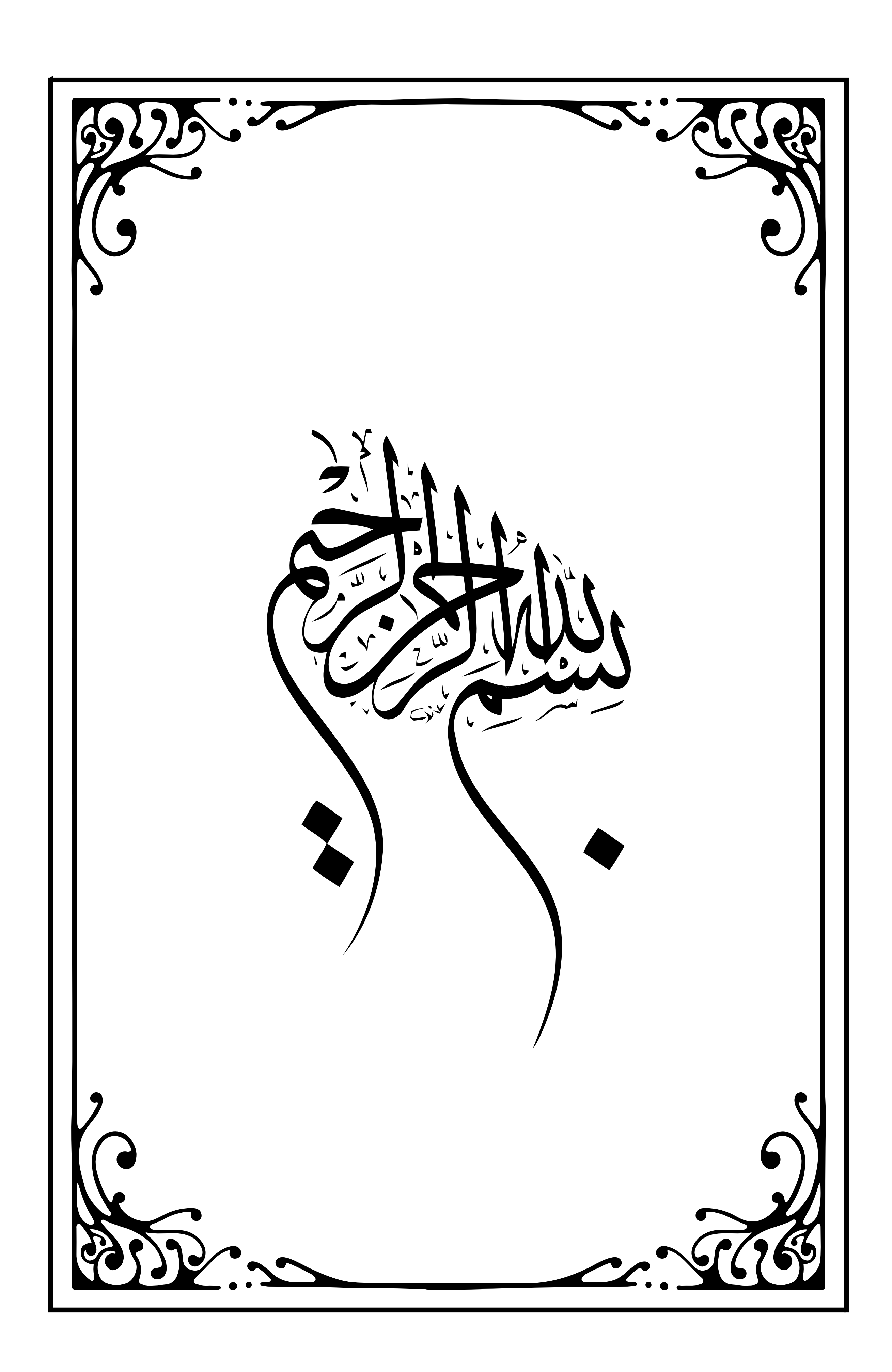
تبني النظـام الإيراني للفلسفـة

وأثــره على شرعيـــة ولايــة الفقيــه



د. عبدالله بن سلمان الفيفي




بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، وخاتم الأنبياء والرسل، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته. أما بعد:

فإن المذهب الشيعي بكليته، وباتجاهاته جميعًا، مذهب يقوم على مبدأ الإمامة، وعلى هذا الأساس حصلت مباينتهم لأهل السنة، وعليه أيضًا حصل التقسم والتفرق داخل المذهب الشيعي بمعناه العام، ومن أكبر الفرق الشيعية، الفرقة التي تعرف بالاثني عشرية؛ نسبة إلى قولهم باثني عشر إمامًا، يزعمون أنهم أئمة معصومون، وأنهم أئمة منصوص عليهم من قبل الله ﷻ، وأنه ليس للأمة أن تختارهم، فضلًا عن أن تكون هي من نصبتهم أئمة؛ فإن الإمامة -بناء على ما يذهب إليه هذا المذهب- اصطفاء إلهي، مثلها مثل النبوة، فكما أن البشرية ليست من اختارت النبي ﷺ، بل الله ﷻ هو من اصطفاه وبعثه، فكذلك الأئمة، هم أئمة مصطفون من قبله سبحانه وتعالى.

وفي حقيقة الأمر فإن القول باثني عشر إمامًا، هو تطور واقع في المذهب الشيعي الاثني عشري؛ فإنه لم يكن يحصر الأئمة بهذا العدد

المعين، بل كان يقول بانتقال الإمامة من الإمام السـابق إلىٰ التـالي بـالنص، ولكن حصل أن مات الإمام الحادي عشر: الحسن العسكري بلا ولد؛ وهنا وجد الشيعة أنفسهم أمام مأزق كبير، تمثل في مـوت الإمـام شـابًا بـلا ولـد؛ ولهذا كان لا بد من تدارك المذهب الشيعي، والحيلولة بينه وبين الانـدثار، الذي سيكون نتيجة حتمية لانقطاع سلسلة الإمامة، وسعيًا من علماء الشيعة للحيلولة دون انتهاء المذهب الشيعي؛ فقد ذهبوا إلىٰ أن للحسن العسكري ولدًا وأنه غائب، ولن يظهر إلا إن امتلأت الأرض ظلمًا وجورًا، وزعموا أنه هو المهدي المنتظر الذي ذكر في الأحاديث النبوية.

وبقولهم بغيبة الإمام الثاني عشر؛ فإنه قد ظهر في المجتمع الشيعي ما عرف بـ"الانتظار" والمراد به: انتظار الشيعة لخروج المهدي: محمد بن الحسن العسكري، الذي سيتولىٰ رفع الظلم عن الشيعة الاثني عشرية، ويحرص علىٰ نشر العدل في الأرض. ولكن الأمد طال بالشيعة، ومضت مئات السنين، بلا خروج أو ظهور لهذا الرجل؛ فكان هذا سببًا في سعي فقهاء الشيعة الاثني عشرية، لتوسيع صلاحيات الفقيه الشيعي، وإعطائه شيئًا من الصلاحيات التي كان المذهب الشيعي الاثني عشري قائمًا علىٰ أنها من اختصاص أئمة أهل البيت، وليس لغيرهم من الفقهاء الشيعة أن يقوموا بها.

وقد كانت هذه المساعي هي الشرارة التي أسهمت في ظهور نظرية ولاية الفقيه، ثم إن الدعوىٰ التي تنادي بوجوب إعطاء الفقيه الشيعي المزيد من الصلاحيات السياسية، قد أخذت في التنامي، إلىٰ أن ظهر منصب النائب عن الإمام المهدي، وذلك في عهد الدولة الصفوية، وكان ظهور هذا علىٰ يد الكركي، الذي وضع الأسس الفقهية لنظرية ولاية الفقيه، وتولىٰ القيادة

الدينية بالفعل، وصارت له مهام وصلاحيات تنفيذية واسعة.

ثم ظهر القول بولاية الفقيه في العصر الحاضر علىٰ يد الخميني، ولكن في صورة أوسع مما قال به الكركي في الدولة الصفوية؛ فإن الخميني قد ولىٰ نفسه وليًا فقيهًا علىٰ المجتمع الشيعي، في كل شؤون الناس، السياسية والعسكرية والاقتصادية والدينية والاجتماعية وغيرها، ولم تعد ولاية الفقيه محصورة بالولاية الدينية فقط، كما كان عليه الأمر في عهد الكركي، وبهذا ظهرت ولاية الفقيه المطلقة.

والمستند الشرعي الذي أقام عليه الخميني ولاية الفقيه المطلقة، هي: دعوىٰ أن ولاية الفقيه هي الحكومة النائبة عن الإمام المهدي الغائب، وأن الفقيه الشيعي هو القائم مقام محمد بن الحسن العسكري في حال غيبته. وعلىٰ هذا المبدأ قامت شرعية الولي الفقيه في الداخل الإيراني. وعلىٰ هذا المبدأ أيضًا قام مشروعه في التمدد في الشرق الأوسط، بل التمدد خارج الشرق الأوسط، وهذا المشروع التوسعي، أو ما قد يسمىٰ: تصدير الثورة. هو ما يسمىٰ في نظام الولي الفقيه بـ "حماية المستضعفين" الفكرة التي سوغ بها الولي الفقيه لنفسه نشر الطائفية في المنطقة.

فإن نظام الولي الفقيه قد حرص علىٰ ربط نفسه بالإمام الغائب المنتظر، وربط شيعة المنطقة بالولي الفقيه؛ بدعوىٰ أنه النائب عن المهدي المنتظر، والمفوض من قبل المهدي بالمحافظة علىٰ المذهب الشيعي في العالم، وأن ولاء الشيعة الاثني عشرية يجب أن يكون ولاء مخصوصًا بالولي الفقيه، الذي لا يصح للشيعي أن يوالي حاكمًا غيره؛ لأن الإمامة حق من حقوق أهل البيت حال كانوا أئمة ظاهرين، وأما حال الغيبة فإن الإمامة

الشرعية محصورة في النائب عن الإمام الغائب، والنائب هنا هو الولي الفقيه؛ فوجب على كل الشيعة أن يوالوا الولي الفقيه، وأن يعادوا من عاداه الولي الفقيه.

وبسبب ربط الولي الفقيه لنفسه بالتشيع في أحيان كثيرة، مع تخليه عن التشيع عند تعارض مصالحه السياسية والاقتصادية مع العقائد الشيعية في أحيان أخرى؛ فقد وجد لدى المتابعين لولاية الفقيه، ولما تقوم به من أعمال، سجال فكري، يهدف إلى تحديد حقيقة علاقة الولي الفقيه بالمذهب الشيعي عمومًا، وبالغائب المنتظر خصوصًا.

وبسبب هذا السجال الفكري؛ فقد وجد من يذهب إلى أن نظام ولاية الفقيه نظام شيعي عقائدي، لا يهتم بشيء إلا بتصدير الثورة، ونشر التشيع في المنطقة عمومًا، وصبغ البلدان العربية بالصبغة الشيعية، من خلال تبني قضايا الشيعة العرب. وفي المقابل يوجد فريق آخر، يذهب إلى أن تصدير الثورة، أو نشر التشيع، ليس هدفًا أو غاية لنظام الولي الفقيه، وإنما هو أداة من أدوات تحقيقه للهيمنة الإقليمية، وعندما تتعارض غاية الولي الفقيه في الحصول على النفوذ السياسي والاقتصادي، مع نشر ودعم التشيع؛ فإن الولي الفقيه سيقدم مصالحه السياسية والاقتصادية على المبادئ العقدية ونشر التشيع.

والفرق بين الاتجاهين فرق بين؛ فإن المؤمن بأن الولي الفقيه يهدف في غاياته النهائية إلى نشر التشيع، يؤمن بأنه نظام يقدم العقائد الشيعية على المصالح السياسية. وأما المؤمن بأن نشر التشيع إنما هو محرك من المحركات التي يعتمد عليها الولي الفقيه لتحقيق أهدافه السياسية

والاقتصادية؛ فيذهب إلىٰ أن نظام الولي الفقيه يهدف لأن يكون القوة الأقوىٰ في الشرق الأوسط؛ ما يمكنه من تحقيق العديد المزيد من النفوذ الإقليمي، وعلىٰ هذا الرأي فإن حرص نظام الولي الفقيه علىٰ ربط نفسه بـ "محمد بن الحسن العسكري" إنما هو مدفوع بالدافع السياسي لا العقائدي؛ فإن الولي الفقيه قد وجد نفسه في مجتمع شيعي، يدين بالمذهب الاثني عشري؛ فكانت المصالح السياسية توجب علىٰ الولي الفقيه أن ينصهر مع المذهب الاثني عشري، وأن يسعىٰ بكل ما أوتي من قوة؛ لكي يظهر للجمهور الشيعي أنه نظام يقوم علىٰ النيابة عن المهدي المنتظر الغائب؛ لأن هذا الارتباط مما يضفي علىٰ الولي الفقيه الشرعية، ويعمق من هيمنته الروحية علىٰ الفئات الشيعية الاثني عشرية.

وقد حرص كل من قال بأحد القولين علىٰ أن يدعم قوله بالأدلة، التي يرىٰ أنها دالة علىٰ صحة ما ذهب إليه، من تحليل لحقيقة ارتباط الولي الفقيه بالمذهب الشيعي، فأما الاتجاه الأول، فيذهب إلىٰ أن ظهور الولي الفقيه في العباءة والعمامة الشيعية، كاف في إثبات تشيعه. وفي المقابل فإن الذاهب إلىٰ أن ارتباط الولي الفقيه بالمذهب الشيعي، إنما هو مدفوع بالمصالح السياسية، لا ينكر أن الولي الفقيه قد ظهر إلىٰ العالم مرتديًا العمامة والعباءة الشيعية، ولكنه يؤكد علىٰ أن هذا لا يدل علىٰ إيمانه بالمذهب الشيعي الكلاسيكي؛ لأن للمذهب الشيعي أركانا، لا يكون المرء شيعيًا إلا إن آمن بها.

والولي الفقيه لا يؤمن بالمذهب الشيعي في صورته التي ارتسمت في المجتمع الشيعي؛ فإنه – أي: الولي الفقيه – يقوم في علاقته مع المذهب

الشيعي علىٰ حالات، منها:

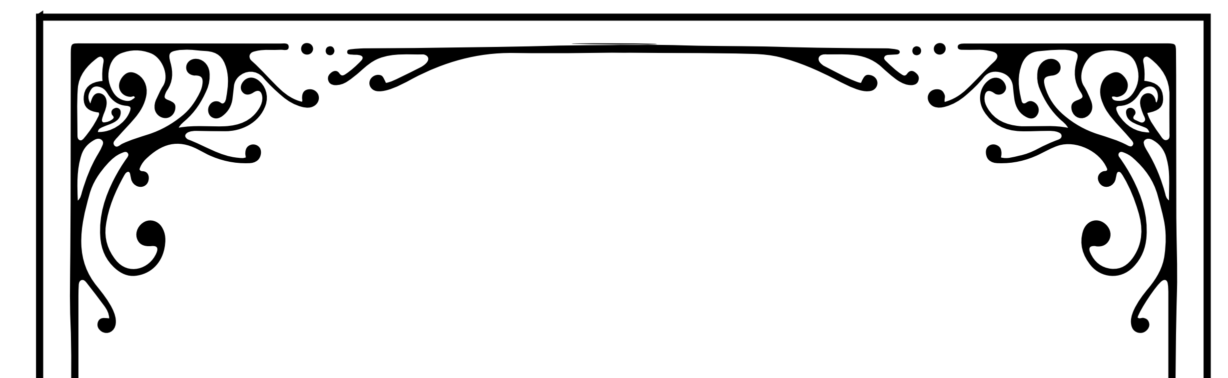
(١) نشر التشيع التقليدي، المعروف في المجتمعات العربية؛ وذلك لتحقيق النفوذ في الشرق الأوسط عمومًا، وفي الوطن العربي خصوصًا، الذي يستهدفه نظام الولي الفقيه، ويحرص علىٰ نشر ودعم الطائفية فيه، مع محاولة حصر ولاء الشيعة العرب في ولائهم للولي الفقيه، بل وصل به الأمر إلىٰ عسكرة التشيع؛ دعمًا لمشاريعه التوسعية.

(٢) نشر "التشيع العرفاني" أو ما قد يسمىٰ بـ "التشيع الفلسفي" أو "العرفان الشيعي" وهو تشيع مغاير ومباين للتشيع الذي يؤمن به الشيعة العرب، والسر في دعم الولي الفقيه لهذا النوع من أنواع التشيع: أنه التشيع الذي يؤمن به أركان هذا النظام.

ولا شك أن القول الثاني – أي: التشكيك في ارتباط الولي الفقيه بالمذهب الشيعي – سيكون هو القول الصحيح؛ متىٰ ما ذكر القائلون به أدلة دامغة، تدل علىٰ أن للمراجع الفقهية المتنفذة في ولاية الفقيه، أقوالًا تناقض العقائد الشيعية مناقضة تمامة.

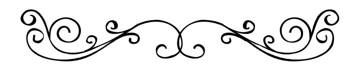
وهذه المسألة تحديدًا، هي ما قصدنا إلىٰ بحثه في هذا الكتيب، فإن جهدنا كان منصبًا علىٰ عرض ما يؤمن به هذا النظام من أفكار عرفانية، مع عرض مدىٰ تأثيرها علىٰ المذهب الشيعي، فإن هذا مما يبرز أن نظام ولاية الفقيه لا يتفق في رؤيته العقدية مع الرؤية العقدية التي قام عليها المذهب الشيعي؛ فإنه لا يمكن لمن آمن بالمذهب الشيعي إيمانا حقيقيًا، أن يتبنىٰ ويدعم وينشر عقائد تناقضه؛ فدل هذا علىٰ أن تبني الولي الفقيه للتشيع، إنما هو في الظاهر فقط.

وبما أن نظام الولي الفقيه الفلسفي ليس صادقًا في دعمه وتبنيه للتشيع الكلامي؛ فإن هذا دال علىٰ أن نشره للتشيع، ودعمه للطائفية في الإقليم، ليس دعمًا نابعًا من إيمان بصحة المذهب الشيعي، في صورته التي رسمها المفيد، والصدوق، والكليني، وشيخ الطائفة، وابن المطهر الحلي، والمجلسي، وغيرهم من علماء الشيعة، وإنما هو دعم يهدف إلىٰ تحويل شيعة المنطقة إلىٰ أداة في يده، يحركها متىٰ شاء؛ ما يمكن هذا النظام من تحقيق مطامعه السياسية والاقتصادية.



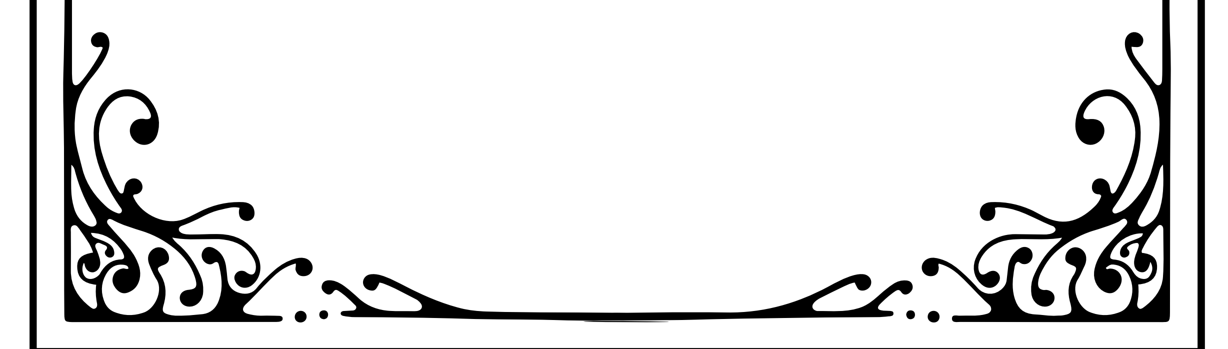
المبحث الأول

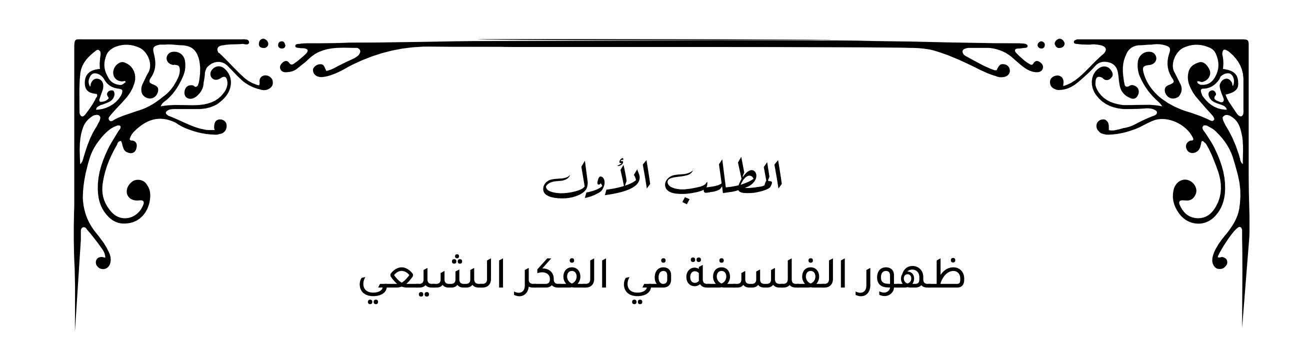
الفلسفة الشيعية وأبرز أعلامها



وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: ظهور الفلسفة في الفكر الشيعي.
- المطلب الثاني: أبرز الفلاسفة في نظام ولاية الفقيه.





المطلب الأول

ظهور الفلسفة في الفكر الشيعي

من المهم أن يكون الكلام على ظهور الفلسفة في الفكر الشيعي، مسبوقًا بتعريف الفلسفة لغة واصطلاحًا.

معنى الفلسفة:

الفلسفة كلمة معرَّبة عن اليونانية، وهي مركبة من فيلا وهو المحب بلسان اليونان، وسوفا وهي الحكمة عندهم[1]. وعلى هذا فإن الفيلسوف: محب الحكمة. وأما في اصطلاح الفلاسفة الإسلاميين، فيقول الفارابي في تعريفها: «الفلسفة حدها وماهيتها: أنها العلم بالموجودات بما هي موجودة»[2].

والجمع بين التعريفين: اللغوي والاصطلاحي: أن الفيلسوف هو محب البحث في الوجود، ومعرفة الحكمة من وجود هذا الوجود.

وقد كانت البداية الفعلية لظهور الفلسفة الإشراقية في المجتمع الشيعي، على يد حيدر الآملي، الذي تأثر بالفيلسوف الصوفي: ابن عربي، ثم عمل على دمج العرفان الصوفي بالمذهب الشيعي. ثم ظهر بعد ذلك العديد من الفلاسفة الشيعة، إلا أن أشهرهم كان: صدر الدين الشيرازي، الذي قام بشرح أفكار ابن عربي، وسعى إلى إخراجها في صورة جديدة، عرفت بـ"الحكمة المتعالية" وهي الفلسفة المنتشرة في المجتمع الشيعي

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ج٩ص ٢٧٣.

(٢) الجمع بين رأيي الحكيمين ص٨٠. تأليف: الفارابي، دار المشرق، بيروت، ط. الخامسة: ٢٠٠١م.

المعاصر، يقول حسين المنتظري: «إن آراء صدر المتألهين الشيرازي حول مسائل الوجود والحركة الجوهرية وظهور النفس المجردة كثيرة التداول في المؤسسات العلمية و الجامعية»(١).

وإذا ما عرفنا أن الحكمة المتعالية تقوم برمتها علىٰ فلسفة ابن عربي الصوفي، وأن ما قام به الصدر الشيرازي ليس إلا شروحًا لأفكار ابن عربي، أو إعادة صياغة لفظية لها؛ فإن هذا يدل علىٰ أن الفكر الفلسفي الشيعي المعاصر، قائم علىٰ فلسفة ابن عربي.

ولا شك أنه ما كان للفلسفة الصوفية أن تنتشر في المجتمع الشيعي، إلىٰ أن صارت المهيمنة علىٰ نظام ولاية الفقيه، بعد أن كانت أقوالًا فردية في عصر حيدر الآملي، إلا بسبب وجود خلل في المنهج المعرفي الشيعي، أسهم بدوره في تقوية موقف الولي الفقيه من الفلسفة، وما قام به من قول بشرعية العرفان الصوفي، ومن هذه الأسباب:

أولًا: القول بتحريف القرآن الكريم:

يعتبر القول بتحريف القرآن الكريم، من أخطر الأقوال التي قال بها المذهب الشيعي، فإن من علماء الشيعة من ذهب إلىٰ أن «الخبر قد صح من أئمتنا ﷺ أنهم أمروا بقراءة ما بين الدفتين، وألا نتعداه، بلا زيادة فيه ولا نقصان منه، حتىٰ يقوم القائم ﷺ، فيقرأ للناس القرآن علىٰ ما أنزله الله تعالىٰ»(٢).

(١) من المبدأ إلىٰ المعاد لمنتظري ص٦٨.

(٢) المسائل السرورية للمفيد ص٨١.

ومن المخاطر – التي لا تحصر – في هذا القول: أنه يدخل المؤمن به في حالة من التناقض الداخلي، ويحول بينه وبين الإيمان الجازم بكمال الدين، وأنه ما من قضية شرعية إلا وفي القرآن الكريم ما يدل على حكمها؛ وهذا بدوره فتح المذهب الشيعي للتأثر بكل المؤثرات الخارجية، ومنها: التأثر بالعرفان الصوفي.

ثانيًا: ربط تفسير الآيات القرآنية بالإمام:

كان المذهب الشيعي يقوم بكليته على أن تفسير النص القرآني من مهام الإمام المعصوم، وأما غيره من فقهاء الشيعة، فليس لهم إلا رواية أقوال الإمام وتفسيراته، ويستدلون على هذا بأدلة، منها ما زعمه الكليني من أن النبي ﷺ قد قال: «إني تارك فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلوا: كتاب الله ﷻ وأهل بيتي عترتي، أيها الناس اسمعوا وقد بلغت، إنكم ستردون علي الحوض فأسألكم عما فعلتم في الثقلين والثقلان: كتاب الله جل ذكره وأهل بيتي، فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»[1].

ومع أن المذهب الشيعي قد حاول تجاوز هذا القول، من خلال التأكيد على أهمية المرجعية الشيعية، ووجوب تقليدها، إلا أن آثار القول بعصمة الإمام، وأن الحق لا يؤخذ إلا منه، قد بقيت في المذهب الشيعي، ما نتج عنه: دخول التشيع في فوضى فكرية عارمة، فالنص القرآني قد يكون محرفًا، والثابت منه لا سبيل إلى تأويله إلا من خلال أقوال الإمام المعصوم، وهو الآن غائب، وأما المرجعيات فمتصارعة فيما بينها.

(١) الكافي للكليني ج١ ص٢٩٤.

ومن الأمثلة على هذا التصارع: اضطرابها في حكم العرفان؛ فإن من المراجع الشيعية من يذهب إلىٰ أن العرفان =الفلسفة الإشراقية مخالف للعقائد الشيعية، وفي المقابل فإن من عرفاء الشيعة من يذهب إلىٰ أن العرفان مستمد من مدرسة أهل البيت؛ فكانت المراجع الشيعية متناقضة فيما بينها، مع أن الكل ينسب قوله إلىٰ أهل البيت، ولا شك أن أحد القولين باطل، ولكن تحديد أيهما هو الباطل، مبني علىٰ فصل الإمام المزعوم عصمته في موطن الخلاف، ولكنه غائب؛ فكان القول بوجوب رجوع الناس له عند الخصومة، مانعًا للناس من الوصول إلىٰ المعرفة الحقيقية.

۞ ثالثًا: غياب المنهج الحديثي:

يعتبر غياب المنهج النقدي للمرويات الشيعية من أهم الأسباب التي أدت إلىٰ ظهور العرفان الشيعي؛ فإن التصوف الفلسفي يقوم علىٰ ضرورة وجود إنسان كامل، له كمالات معنوية وصفات لا يتصف بها بقية البشر. ومثل هذه الروايات قد وجدت في الكتب الروائية الشيعية، فإن فيها من الروايات ما يصف أهل البيت بصفات الألوهية؛ وبهذا فإن المراجع الشيعية التي تذهب إلىٰ أن العرفان الشيعي مستمد من أهل البيت، قد وجدوا لهم مستندًا يقومون عليه، زاعمين أن هذه المرويات المنقولة عن أهل البيت، منقولات صحيحة، وأن الإنسان الكامل هو الشخص الموصوف بالصفات فوق البشرية.

ولو أنه كانت للمذهب الشيعي منهجية في التعامل مع مروياته؛ لما وجد عرفاء الشيعة ما يستدلون به علىٰ ما ذهبوا إليه من أن الفلسفة لا تخالف المذهب الشيعي، ومن هنا فإنه قد وجد من علماء الشيعة، من يحذر من قبول هذه الروايات؛ نظرًا لما تؤدي إليه من عقائد، يقول محسن

كـديور: «لا بـد مـن بـذل أقصـىٰ درجـات الحـذر والحيطـة في التعامـل مـع الروايات الاعتقادية المتعلقـة ببـاب الحجـة، وموضـوع الإمامـة، خصوصًـا عندما يدور الكلام علىٰ فضائل فـوق بشـرية للأئمـة؛ لثبـوت أن مـتن وسـند كثير من هذه الروايات تم اختلاقه ووضعه»[1].

(١) تأملات في مصادر العقائد الدينية لمحسن كديور، مطبوع مع القراءة المنسية ص١٧١.

المطلب الثاني

أبرز الفلاسفة في نظام ولاية الفقيه

معنى الولاية:

يذكر ابن فارس أن "الواو واللام والياء" أصل صحيح يدل على قرب. ومن ذلك الولي؛ فإنه يراد به: القرب. وكل من ولي أمر آخر؛ فهو وليه[1]. وقال سيبويه: الولاية، بالفتح المصدر، والولاية، بالكسر، الاسم مثل الإمارة والنقابة؛ لأنه اسم لما توليته وقمت به[2].

معنى الفقه:

يذكر ابن فارس أن "الفاء والقاف والهاء" أصل واحد صحيح، يدل على إدراك الشيء والعلم به. تقول: فقهت الحديث أفقهه. وكل علم بشيء فهو فقه. ثم اختص بذلك علم الشريعة[3].

معنى ولاية الفقيه:

بما أن الفقه هو الفهم، ثم اختص بفهم النص الشرعي؛ فإن من البديهي أن يكون الفقيه في اللسان الشيعي: عبارة عن فهم مراد الشارع، على ما يقول به المذهب الشيعي. ولكن ما هي ولاية الفقيه؟ في البحث عن تعريفها، نجد أن من علماء الشيعة من يذهب إلى أن ولاية الفقيه: «قيام الفقيه الجامع لشروط الفتوى والقضاء مقام الحاكم الشرعي وولي الأمر

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج٦ ص١٤١.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور ج١٥ ص٤٠٧.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج٤ ص٤٤٢.

الإمام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) في زمان غيبته في إجراء السياسات وسائر ماله من أمور عدا الأمر بالجهاد الابتدائي، وهو فتح بلاد الكفر بالسلاح، علىٰ خلاف في سعة الولاية وضيقها»[1].

وما ذكره من استثناءات في صلاحيات الولي الفقيه، قول موجود في الفكر الشيعي. ولكن ثمة قول آخر، يذهب إلىٰ جعل ولاية الفقيه ولاية مطلقة، بمعنىٰ: أن له من الصلاحيات والمهام كما للإمام، وممن دافع عن هذا القول: الخميني نفسه؛ فإنه يقول: «إن الفقهاء هم أوصياء الرسول (ص) من بعد الأئمة وفي حال غيابهم، وقد كلفوا بالقيام بجميع ما كلف الأئمة (ع) بالقيام به»[2].

والقول بولاية الفقيه ولاية مطلقة، هو القول السائد في الفكر الشيعي الآن؛ وذلك بسبب قوة القائلين به.

ثم إن من القائلين بولاية الفقيه المطلقة، من جمع بين هذا القول، وبين الإيمان بالفلسفة الإشراقية، التي قد تسمىٰ: العرفان الشيعي، وهو عبارة عن آراء فلسفية، مستمدة من ابن عربي، الفيلسوف الصوفي الذي أثر في العديد من فلاسفة النظام الإيراني، ومنهم:

الشخصية الأولى: الخميني:

هو: روح الله بن مصطفىٰ بن أحمد الموسوي الخميني. ولد في العشرين من جمادىٰ الثانية سنة ١٣٢٠، في مدينة خمين بإيران، درس علىٰ يد

(١) معجم ألفاظ الفقه الجعفري لأحمد فتح الله ص٤٥٣.

(٢) الحكومة الإسلامية للخميني ص٧٥.

أخيه أولًا، ثم انتقل إلىٰ مدينة قم، وواصل التعليم في حوزتها، وفيها تتلمذ علىٰ يد محمد علي الشاه آبادي، وعنه أخذ فلسفة الإشراق، وللخميني العديد من المؤلفات، ومن مؤلفاته الفلسفية: مصباح الهداية إلىٰ الخلافة والولاية. شرح دعاء السحر. الأربعون حديثا. أسرار الصلاة. آداب الصلاة. رسالة في الطلب والإرادة. تعليقات علىٰ شرح فصوص الحكم. ومصباح الأنس. جنود العقل والجهل. الجهاد الأكبر. دعوة إلىٰ التوحيد. المظاهر الرحمانية "رسائل الخميني العرفانية".

توفي الخميني في ٢٩ من شهر شوال عام ١٤٠٩ هـ[١].

۞ الشخصية الثانية: مرتضى مطهري:

هو: مرتضىٰ مطهري بن محمد بن حسين ولد سنة ١٣٣٨ هـ. درس أولًا علىٰ والده، وأما بعد انتقاله إلىٰ قم، فدرس علىٰ الخميني، وهو شيخه وأستاذه الذي تأثر به كثيرًا[٢].

اشتهر بأنه منظر الثورة الإيرانية، ومما يكشف أثره البالغ، ويبين منزلته العالية في نظام ولاية الفقيه: أنه كان الشخص الواقف خلف الخميني، لما ظهر الخميني إعلاميًا نازلًا من درج الطائرة، بعد عودته إلىٰ إيران؛ إثر نجاح الثورة التي قادها.

توفي مرتضى مطهري في طهران سنة ١٩٧٩م. ويذكر أن إحدىٰ بناته متزوجة من علي لاريجاني، رئيس مجلس الشورىٰ الإيراني[٣].

---

(١) انظر: مقدمة جعفر السبحاني علىٰ موسوعة طبقة الفقهاء ج٢ص٤٥٢-ص٤٥٥.
(٢) انظر: مستدركات أعيان الشيعة لحسن الأمين ج١ص ٢٥٢.
(٣) انظر: التعريف بمرتضىٰ مطهري في ويكي شيعة علىٰ الانترنت.

الشخصية الثالثة: المنتظري:

ولـد حسـين علـي المنتظـري عـام ١٩٢٢م. في مدينـة أصـفهان. وتلقـىٰ دراسته الابتدائية في إحدي المدارس القديمة "الكتاتيب" في نجف آباد، ثـم درس في أصفهان. وفي عام ١٩٤١م. رحل منتظري إلىٰ مدينة قم، وانضم إلىٰ المدارس الدينية بالحوزة. وبعد انتصار الثورة الإيرانية تولىٰ رئاسة مجلس قيادة الثورة، ومجلس خبراء القيادة، وأصبح إمام صلاة الجمعة بعد رحيل محمـود طالقـاني، وأخيـرًا عينـه الخمينـي نائبـًا للمرشـد الأعلـىٰ، باعتبـاره الرجل الثـاني في الثـورة الإيرانيـة، وكـان مـن المفـترض أن يكـون هـو الـولي الفقيه بعد موت الخميني.

وفي عام ١٩٨٩ تـم عزلـه مـن مناصبه، بعـد خلافـات نشبت بينـه وبـين الخميني، وفرضت عليه الإقامة الجبرية في منزله بمدينة قم[1].

توفي في ١٩ ديسمبر ٢٠٠٩ في مدينة قم.

الشخصية الرابعة: محمد مصباح اليزدي:

محمـد تقـي مصبـاح اليـزدي، ولـد عـام: ١٣٥٤هـ. وهـو أحـد أسـاتذة الحـوزة في قـم. وقـد عمـل في العديـد مـن الوظـائف، منهـا: مـدير مؤسسـة الخميني للتعليم والبحث العلمي. وعضو مجلس خـبراء القيـادة في إيـران. رئيس الهيئة العليا للمجمع العـالمي لأهـل البيـت. وكـذلك يعتـبر مـن أهـم المنظّرين والمدافعين عن نظرية ولاية الفقيه المطلقة في إيران.

تـوفي في العاصـمة الإيرانيـة، وقـد قـال الـولي الفقيـه علـي الخـامنئي: إن رحيله يعد خسارة للحوزة العلمية ومدرسة العلوم الإسلامية، وإنـه مفكـر

(١) انظر: التعريف به في ويكيبيديا.

بـارز، حيـث كـان يمتلـك بيانـا في إظهـار الحـق وقـدما ثابتـا علـىٰ الصـراط المستقيم، وكان له الدور في إعداد الطلبة المتميزين. ثم إن الولي الفقيه قد أم المصلين عليه بنفسه، وذلك فجر يوم السبت ١٨/ ٥/ ١٤٤٢هـ. في طهران[1].

الشخصية الخامسة: عبدالله جوادي آملي:

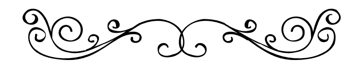
هـو: عبـد الله جـوادي الآملـي، ولـد سـنة ١٣١٢ هـ ش. في مدينـة آمـل شمالي إيران، ثم انتقل إلىٰ طهران، ثم إلىٰ قم، وفي مدينة قم تتلمذ علىٰ يـد العديد مـن علمـاء الشيعة، مـنهم: الخميني. وبعـد انتصـار الثـورة الإيرانيـة تـولىٰ عـدة مسـؤوليات، فكـان عضـو المجلس الأعلـىٰ للقضـاء، ومجلـس خبراء تدوين الدستور، ورابطة مدرسي الحوزة العلمية بقم، ومجلس خبراء القيـادة، وفي عقـدي السـبعينات والثمانينـات للقـرن الــ ١٤ مـن الهجـري الشمسي كان إمام جمعة قم، كما أوصل رسالة الإمام الخميني إلىٰ ميخائيل غورباتشوف، في رحلة له إلىٰ الاتحاد السوفيتي السابق سنة ١٣٦٧ هـ. ش.

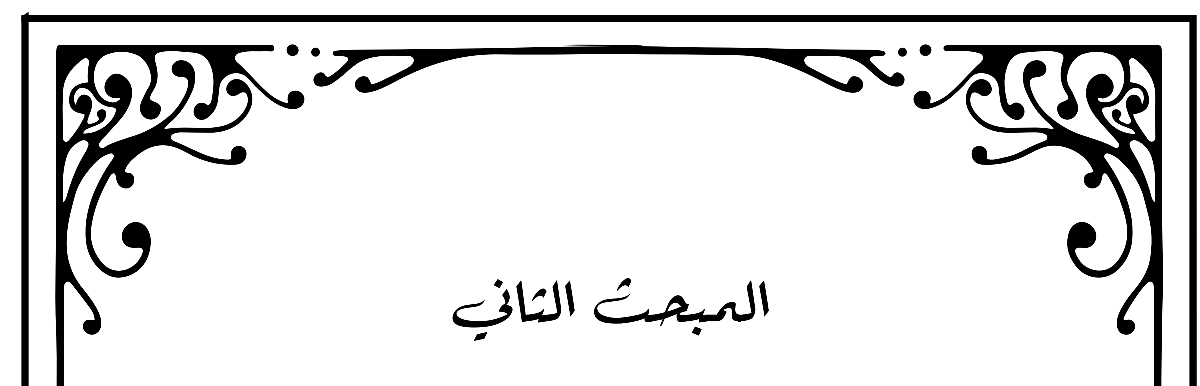
ويعد جوادي الآملي من المعتقدين بولايـة الفقيـه المطلقـة، وقـد كـان قبل الثورة من مروجي أفكار الخميني، ثم إنه قام بالتأليف والاستدلال علىٰ صحة مذهبهم في القول بولاية الفقيه المطلقة.

وهو حاليًا يشـرف علـىٰ مؤسسـة الإسـراء الدوليـة للعلـوم الوحيانيـة، وهي مـن المراكـز العلميـة في مدينـة قـم، كمـا يشـرف الآملـي علـىٰ مؤسسـة الإمام الحسن العسكري[2].

(١) انظر: التعريف به في ويكي شيعة علىٰ الانترنت.
(٢) انظر: التعريف به في ويكي شيعة علىٰ الانترنت.

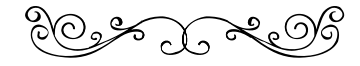
وقد أهملنا ذكر العديد من عرفاء الشيعة، حتىٰ وإن كان لهم مكانة عالية في المجتمع الشيعي، أو كانت لهم مساهمات في نصرة ولاية الفقيه، وذلك مثل: محمد تقي بهجت. أو حسن زاده الآملي. أو غيرهما؛ لأن الغرض ليس استقصاء وحصر المرجعيات الشيعية المؤمنة بالعرفان الشيعي، مع كونها مرجعيات موالية للولي الفقيه، وإنما الهدف والغاية من هذا البحث: إشارات وتنبيهات، وفتح لأبواب البحث أمام الآخرين.





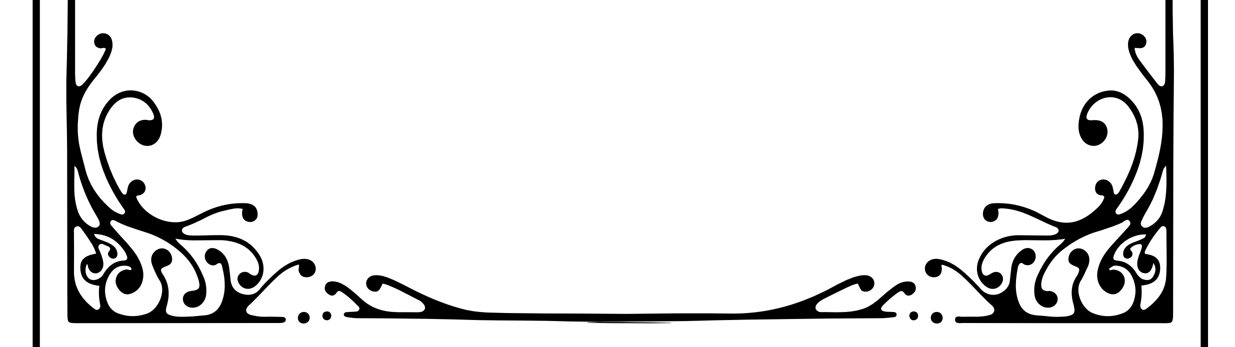
المبحث الثاني

المنهج الفلسفي عند فلاسفة النظام الإيراني



وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: نظرية الفيض عند فلاسفة النظام الإيراني.
- المطلب الثاني: أثر تبني الفلسفة على عقيدة فلاسفة النظام الإيراني.



المطلب الأول

نظرية الفيض عند فلاسفة النظام الإيراني

عندما نتحدث عن حقيقة الوجود لدىٰ فلاسفة النظام الإيراني، فإن من المهم أن نعلم أنهم ليسوا أرباب فلسفة مستقلة، قاموا بإنشائها وتكوينها، بل هم امتداد لفلسفة سابقة، هي: الفلسفة الإشراقية، التي ظهرت في اليونان، ثم بزغت في العالم الإسلامي علىٰ يد السهروردي، وأما علىٰ يد ابن عربي فصارت مدرسة متكاملة الأركان، وتحول اسمها من: الفلسفة الإشراقية. إلىٰ: العرفان.

ولا خلاف بين المدرستين في حقيقة الوجود، فإن الأولىٰ تقوم علىٰ نظرية الفيض والصدور، الذي قال به أفلوطين، وخلاصة هذه الفكرة: أن الوجود كله فيض فاض عن الله ﷻ. وأما فلسفة ابن عربي فتقوم علىٰ القول بفلسفة وحدة الوجود، وتفسر هذا بالفيض أيضًا، معتبرة أن الفيض ليس مباينا للذات الإلهية، بل هو متصل به جل جلاله، وبما أن العالم فيض من فيضه سبحانه وتعالى، وبما أن الفيض متصل به ﷻ؛ فإن الوجود سيكون واحدًا بزعمهم.

وبالنظر إلىٰ هذه العقائد الفلسفية، مشروحة بأقلام فلاسفة النظام الإيراني، نجد أن محمد تقي مصباح اليزدي يقول: «من المتفق عليه بين الكل أن الصادر الأول هو أشرف العقول»[1]. وبهذا نجد أن فلاسفة الشيعة يوافقون الفلاسفة في قولهم بوجود العقول العلوية، التي يزعمون أنها فاضت

(١) تعليقة علىٰ نهاية الحكمة لمحمد مصباح اليزدي ص٤٧٨.

عن الله ﷻ. ومع هذا فإن فلاسفة النظام الإيراني يذهبون إلىٰ أن ثمة عقول طولية، وعقول عرضية، والكل فيض من فيضه ﷻ، يقول مرتضىٰ مطهري: «بالإضافة إلىٰ النظام الطولي الذي يعين ترتيب الموجودات من حيث الفاعلية والخالقية والإيجاد، فإنه يحكم الكون الطبيعي خاصة نظام آخر يعين الشروط المادية لإيجاد ظاهرة معينة، وهذا نسميه بالنظام العرضي»(١).

وما أشار إليه مرتضىٰ مطهري إجمالًا، من أن وظيفة العقول: إيجاد ما يقع تحتها من موجودات. نجده أكثر وضوحًا عند محمد تقي مصباح اليزدي، الذي يقول: «أما الإشراقيون فقد ذهبوا إلىٰ أن في المرتبة الأخيرة من مراتب العالم العقلي صدرت عقول كثيرة بعدد الأنواع الموجودة في هذا العالم، وهي المثل الأفلاطونية»(٢). وخلاصة هذه الفكرة الفلسفية: أنه - وبزعمهم الكاذب - قد فاض عنه ﷻ عقل أول، هو أشرف الموجودات، ثم فاض عن هذا العقل عقل آخر، وهكذا إلىٰ أن تصل العقول الطولية إلىٰ العقل العاشر، ثم عن هذا العقل العاشر تصدر عقول عرضية، هي المثل الأفلاطونية نفسها.

وبهذا فإن نظرة فلاسفة النظام الإيراني إلىٰ الوجود، قد أخذت في الظهور، وإن لم يكن ظهورًا تامًا، إلا أننا علمنا أنهم يؤمنون بوجود عالم مجرد، مكون من عالم العقول، وعالم مادي، هو في الحقيقة مخلوق للعالم العقلي العرضي. ثم إن العالم العقلي المجرد، أشرف وأعلىٰ رتبة من العالم المادي المشاهد، يقول حسين المنتظري: «المجردات الأخرىٰ، من

(١) العدل الإلهي لمرتضىٰ مطهري ص١٣٦.
(٢) تعليقة علىٰ نهاية الحكمة لمحمد مصباح اليزدي ص٤٧٨.

قبيل العقل والروح، فإنها وإن كانت شعاعا من نور الله ودون مرتبته، إلا أنها أسمىٰ من الكائنات المادية لهذا العالم»[١].

وما أشار إليه منتظري في قوله السابق، قد شرحه وبسطه في موضع آخر من كتبه، حيث قال: «بشكل عام سميت مراتب الوجود المتفاوتة فيما بينها في الشدة والضعف علىٰ النحو الآتي: ذات الله وهو الوجود غير المحدود والمستقل بقطع النظر عن الصفات و يسمىٰ غيب الغيوب والهاهوت، ومع أخذ صفاته الكمالية - التي لا تنفصل عن ذاته بل هي عين ذاته - يسمىٰ اللاهوت. والوجود المتأخر عن ذات الله وصفاته وهو عالم العقل بـ الجبروت. وما تأخر عنه من عالم النفوس الكلية بـ الملكوت. وما هو أدنىٰ منه مرتبة من عالم الطبيعة والمادة سماويا كان أو أرضيا بـ الناسوت»[٢].

وهذه المراتب التي ذكرها حسين المنتظري، يمكن ذكرها بشكل أكثر تفصيلًا، **على النحو التالي**:

(١) الذات الإلهية، التي قد تسمىٰ غيب الغيوب، وغير هذا من الأسماء المشهورة لدىٰ فلاسفة النظام الإيراني[٣].

(٢) عالم العقول العلوية، سواء أكانت طولية أو عرضية، وهي جميعًا يعمها اسم واحد، هو: عالم الجبروت.

(٣) عالم النفوس الكلية، الذي يسمىٰ: الملكوت.

---

(١) من المبدأ إلىٰ المعاد لمنتظري ص٢٦.

(٢) من المبدأ إلىٰ المعاد لمنتظري ص٦٩.

(٣) هذه من المخالفات العقدية؛ فإن أسماء الله ﷻ توقيفية، ولا يجوز أن يسمىٰ باسم إلا إن كان عليه دليل من الكتاب أو السنة.

(٤) عالم الطبيعة والمادة، وقد يسمىٰ: عالم الناسوت.

وكل هذه المراتب، مراتب واقعة في الوجود الواحد، الذي يذهب فلاسفة النظام الإيراني، إلىٰ أنه لا سبيل إلىٰ إدراك حقيقته، وكيفية تكونه من هذه العوالم، إلا من خلال العرفان، يقول محمد تقي مصباح اليزدي: «العرفان في الاصطلاح مختص بنوع معين من المعرفة، وهذا النوع المعين من المعرفة لا يتم الحصول عليه عن طريق الحس والتجربة ولا عن طريق العقل والنقل، وإنما يحصل عن طريق الشهود الباطني والرؤية الحضورية»[(١)].

ومراده بالرؤية الحضورية: ما ذكره بنفسه عندما قال: «أما العرفان فإنه لا يتحقق إلا إذا تحولت هذه المعرفة الغيابية والمفهومية إلىٰ معرفة حضورية وعينية، ولم يكن هناك أي حاجب مهما كان رقيقًا ولطيفًا، فيغدو الإنسان مؤهلًا ليرىٰ الله سبحانه بصورة مباشرة وبواسطة عين القلب»[(٢)].
وبهذا نجد أن غاية العرفان: معرفة هذه العوالم، ومعرفة حقيقة وجودها، وما صلتها بالله ﷻ، وهو شيء أشار إليه حسين المنتظري بقوله: «أن المادة وأشكالها وصورها المتنوعة التي تشكل لحمة الكون وسداه، كلها مظهر وجود الله»[(٣)].

وما سبق بيانه، من أن فلاسفة ولاية الفقيه يذهبون إلىٰ أن الوجود مكون من عدة عوالم، هو ما يعرف في اصطلاحهم بالعرفان النظري، الذي يقول محمد تقي مصباح اليزدي في وصفه: «يعتبر العرفان النظري - من حيث

---

(١) محاولة للبحث في العرفان الإسلامي لمحمد مصباح اليزدي ص٣٣.
(٢) محاولة للبحث في العرفان الإسلامي لمحمد مصباح اليزدي ص٣٥.
(٣) من المبدأ إلىٰ المعاد لمنتظري ص٢١.

الماهية – شبيهًا بالفلسفة، ولا يقدم للإنسان شيئًا أكثر من المفهوم»[١].

ومعنىٰ كونه نظريًا: أنه لا يقدم للقارئ له إلا معارف نظرية، لا يمكن له أن يتحقق منها، إلا إن كان واصلًا إلىٰ الغاية والمنتهىٰ في العرفان العملي.

ومتىٰ ما سلك السالك مسلك العرفان العملي، فإنه سيرىٰ هذه العوالم رؤية حضورية، يقول مصباح اليزدي: «يتوقف الكشف والشهود عادة علىٰ القيام ببعض الرياضات الخاصة والتمارين المحددة، فإن هذه الأساليب العلمية أو "السير والسلوك" يطلق عليه اسم العرفان، ولكنه يقيد بصفتة العملي. وبناء علىٰ هذا فـ" العرفان العملي" هو عبارة عن القواعد الخاصة التي تقود الإنسان إلىٰ المعرفة الحضورية والشهودية لله تعالىٰ»[٢].

والقيام بهذه الرياضات والتمارين الصوفية، هو – من وجهة نظر فلاسفة الشيعة – وسيلة للحصول علىٰ الفيض الإلهي؛ يقول عبدالله جوادي الآملي: «إنه وإن كان الفاعل تعالىٰ تام الإفاضة، ولكن قابلية القابل أيضًا أمر لازم، لأنه وكما يعبر القرآن الكريم التقوىٰ شرط لازم للفيوضات الإلهية علىٰ الإنسان – كذلك فإنه يعتبر الطغيان والعصيان للأوامر الإلهية مانعًا عن نيل أي فيض إلهي»[٣].

وعندما نتكلم عن الفيض الإلهي، ومدىٰ علاقته بالعرفان، فإن من المهم أن نعلم أن الفيض الإلهي – يدخل لدىٰ فلاسفة النظام الإيراني – في كلا النوعين، يقول حسين المنتظري: «إن لنظام الوجود قوسين:

---

(١) محاولة للبحث في العرفان الإسلامي لمحمد مصباح اليزدي ص٥٣.

(٢) محاولة للبحث في العرفان الإسلامي لمحمد مصباح اليزدي ص٣٨.

(٣) التوحيد في القرآن لعبدالله جوادي الآملي ص٧١.

(١) قـوس النـزول الـذي يبـدأ مـن عـالم العقـل، أي المجـردات التامـة والملائكة المقربين، وينتهي إلىٰ أدنىٰ موجـود وهـو الهيـولىٰ والمـادة الأولىٰ لعالم الطبيعة.

(٢) قوس الصعود، الذي يبدأ من الهيولىٰ الأولىٰ، أي أدنىٰ موجود – مادة المواد – وينتهي إلىٰ عالم العقل والمجردات التامة؛ لأن مـادة المـواد تامة القابلية، ولها قابليات متنوعة، وأن الله تعالىٰ تام الفاعلية وفيـاض علىٰ الاطلاق، وبلطف الله تعالىٰ تتحرك المادة في مختلف المسيرات وتتلبس بصور وفعليات متنوعة حتىٰ تبلغ مرتبة العقل والوصـول إلـىٰ الله تعالىٰ، التي هي الغاية من خلق الانسان»[١].

وبيان قيام العرفان بقسميه علىٰ نظرية الفيض والصدور، شيء سيظهر معنا من خلال ما يلي:

۞ أولاً: قيام العرفان النظري على نظرية الفيض والصدور:

العرفـان النظـري هـو العرفـان الـذي يقدمـه فلاسـفة الإشـراق عمومًـا، كتفسير لوجود الموجـودات المشـاهدة، وهـو تفسـير يقـوم علـىٰ دعـوىٰ أن العـالم فـيض مـن فيضـه ﷻ، ومـع هـذا فـإن العـالم بمـا فيـه مـن موجـودات متكثرة، متصلة بالله ﷻ، اتصال الضوء بالشمس، يقـول حسـين المنتظـري: «لا يلـزم مـن كـون الشـيء مظهـرا لشـيء، انفصـال أحـدهما عـن الآخـر مـن الناحية الزمانية، فشعاع الشمس مثلا، مظهـر للشـمس ومـرتبط بهـا، دون أن يكون منفصلا عنها زمانا فلو فرض وجود الشمس قبـل ألـف سـنة، سيكـون

(١) من المبدأ إلىٰ المعاد لمنتظري ص٢٣٩.

شعاعها موجودا قبل ألف سنة، ولـو فـرض وجودهـا منـذ الأزل، كـان لازم ذلك وجـود شعاعها منذ الأزل أيضًا»[1].

ثانيًا: قيام العرفان العملي على نظرية الفيض والصدور:

الفرق الجوهري بين الفيض في العرفان النظري والعرفان العملـي: أن الفيض في العرفان النظري فيض عام؛ فما في الوجود المشاهد شيء موجود، إلا وهو فيض مـن فيضـه ﷻ. وأمـا الفـيض في العرفـان العملـي، فإنـه فـيض خـاص؛ لا يحصـل عليـه إلا مـن سـلك مسـلك العرفـان العملـي، وقـام بالرياضات والتمارين الصوفية، التي تمكنه من معرفة حقيقـة الوجـود، فـإن تمكن من هذا؛ فقد حقق العرفـان العملـي، وأبصـر العرفـان النظـري، يقـول محمد تقي مصباح اليزدي: «غاية العرفان والمقام الذي يتحتم على الإنسان بلوغه هو مقام يرى الإنسان فيه نفسه شعاعًا من النور الإلهـي، ولا يـرى أي استقلالية لذاته أبدًا»[2].

وبهذا نجد أن الغاية التي يوصل إليهـا العرفـان العملـي: القـول بصـحة فلسفة وحدة الوجود، والزعم بأنه لا وجود إلا الله ﷻ.

(١) من المبدأ إلى المعاد لمنتظري ص٣٠.

(٢) محاولة للبحث في العرفان الإسلامي لمحمد مصباح اليزدي ص٢٢٨.

المطلب الثاني

أثر تبني الفلسفة على عقيدة فلاسفة النظام الإيراني

من البديهي أن كلامنا عن أثر تبني فلاسفة النظام الإيراني للفلسفة على العقائد الشيعية، لن يكون محاكمًا إلى ما يؤمن به أهل السنة والجماعة من أركان الإيمان الستة؛ لأن الموضع ليس موضع دراسة العقائد الشيعية، ومدى موافقتها لسنته ﷺ، بل هو موضع دراسة أثر الفلسفة الإشراقية، على عقائد فلاسفة النظام الإيراني، وكيف أدى بهم منهجهم العرفاني إلى تبني عقائد مصادمة للعقائد السائدة في المجتمع الشيعي، ثم البحث في أثر هذا على شرعية ولاية الفقيه.

وبيان حقيقة هذا الأثر الفلسفي، ومدى عمقه، ونفوذه إلى أعماق العقيدة الشيعية، شيء سيظهر معنا - إن شاء الله - من عرض الأثر الفلسفي على أركان الإيمان الخمسة[1]، التي يقوم عليها الفكر الشيعي بكليته.

الركن الأول: التوحيد:

يقوم تفسير فلاسفة النظام الإيراني للتوحيد، على إيمانهم بنظرية الفيض والصدور، فإنهم لما آمنوا بأنه سبحانه وتعالى فياض مطلق، ولا ينقطع عن

---

(١) الصحيح أن أركان الإيمان ستة، هي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. ومع هذا فإن أركان الإيمان عند الشيعة خمسة لا ستة، وليس الموضع موضع مناقشة الفروق بين السنة والشيعة؛ لأن الموضع - كما سبق - مخصص لبيان مباينة قراءة فلاسفة النظام الإيراني لأركان مذهبهم، للقراءة المشهورة في المجتمع الشيعي.

الإفاضة، آمنوا بأن الفيض قديم، وبما أن الفيض قديم، وبما أن العالم فيض من فيضه ﷻ؛ فإن العالم قديم بقدمه ﷻ، يقول محمد تقي مصباح اليزدي: «إن مما تُمسك به لإثبات قدم العالم ونفي المبدء الزماني عنه هو إطلاق فعاليته تعالىٰ وسرمدية فيضه ودوام جوده»(١). ويقول مرتضىٰ مطهري: «من لوازم التوحيد هو: الاعتقاد بعدم كون العالم حادثًا، وأن له بداية، بل العالم قديم لا أول له»(٢).

وبهذا نجد أن فلاسفة النظام الإيراني، قد امتازوا عن التشيع التقليدي بقولهم بقدم العالم؛ إذ إن التشيع الكلامي يقوم علىٰ اعتبار القول بقدم العالم من الأقوال الباطلة، يقول ابن المطهر الحلي: «من اعتقد قدم العالم فهو كافر بلا خلاف؛ لأن الفارق بين المسلم والكافر ذلك، وحكمه في الآخرة حكم باقي الكفار بالإجماع»(٣). ويقول المجلسي: «القول بقدم العالم شرك»(٤).

وكما خالف فلاسفة النظام الإيراني في توحيد الربوبية، فإنهم قد خالفوا في توحيد الأسماء والصفات؛ فإن التشيع الكلامي قد استقر طوال القرون المنصرمة، علىٰ متابعة المعتزلة في قولهم في الأسماء والصفات الإلهية، ذاهبين إلىٰ إثبات الأسماء الحسنىٰ، مع حمل الصفات علىٰ المجاز، موجبين تأويلها تأويلًا يصرف النص عن ظاهره؛ لأنهم يرون أن إثبات

---

(١) تعليقة علىٰ نهاية الحكمة لمحمد مصباح اليزدي ص٤٩٤.

(٢) التوحيد لمرتضىٰ مطهري ص١٥٨.

(٣) أجوبة المسائل المهنائية للحلي ص٨٩.

(٤) بحار الأنوار للمجلسي ج٤ص ٢٥٩.

النص على الظاهر، موجب للتجسيم. وأما فلاسفة النظام الإيراني، فذهبوا مذهب التصوف الفلسفي، يقول الخميني: «الاسم عين المسمى، وصورة الأسماء أي: الأعيان عين الاسم والمسمى، والظل المنبسط عين الحقيقة الإلهية ومستهلك فيها، لا حكم له أصلا»[١].

وما أجمله الخميني هنا، قد أشار إليه بنفسه في موضع آخر، ومن جهة أخرى، حيث قال: «التكثّر الواقع في الحضرة الواحديّة ومرتبة الألوهيّة هو من تجلّي الفيض الأقدس في صور الأسماء والصفات، وانعكاس نوره في مرائيها»[٢]. ومراده بهذا: أن الاسم هو العلامة الدالة على المسمى، وفي الوقت نفسه فإن الاسم عين المسمى؛ وبناء على هذا فإن كل الموجودات التي نراها، إنما هي أسماء إلهية وجدت بواسطة الفيض الأقدس، الذي أخرج الوجود من مرتبة الأحدية، إلى مرتبة الواحدية، ومع هذا فإنها عين المسمى ﷻ؛ لأنه يمكن أن تسمى هذه الأسماء بالفيض المقدس أيضًا، يقول الخميني: «قد يطلق الإله بفيضه المقدّس الظاهر في النشأة العين»[٣].

وما ذكره الخميني، دال على أن فلاسفة الإشراق يؤمنون بوجود فيضين: الفيض الأقدس، وهو فيض يوجد في النشأة الغيبية. الثاني: الفيض المقدس، وهو فيض يوجد في النشأة العينية. وهذا الفيض بقسميه - الأقدس والمقدس - فيض من فيضه ﷻ، ومع هذا فإنه ليس مباينا للذات الإلهية، بل كلاهما واحد، وكلاهما عين الذات الإلهية؛ فكان الوجود بكل

(١) شرح دعاء السحر للخميني ص١١٨.
(٢) مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية للخميني ص ٢٢.
(٣) تعليقات على شرح فصوص الحكم للخميني ص ١١٦.

ما فيه واقعًا في الذات الإلهية، يقول الخميني: «ظهور الشيء ليس يباينه بل هو هو»[(١)]. ويقول حسين المنتظري: «العارف لا يرىٰ في الوجود سوىٰ الله، وهذا هو الحق لمن عرفه»[(٢)].

وبما أنه لا وجود - لدىٰ فلاسفة النظام الإيراني - إلا لله ﷻ، وبما أن الناس يرون الموجودات المتكثرة في الخارج؛ فإنه لا بد من تفسير القول بوجود هذه الكثرة، وكيف يتفق القول بها مع القول بأنه لا يرىٰ في الوجود سوىٰ الله ﷻ، وهذا ما قام به فلاسفة الشيعة، عندما ذهبوا إلىٰ أن الموجودات المشاهدة في الخارج، عبارة عن موجودات موجودة في الذات الإلهية، يقول الخميني: «وللإشارة إلىٰ هذا المقام ورد: إن لنا مع الله حالات: هو نحن، ونحن هو، وهو هو، ونحن نحن. فالوحدة في عين الكثرة، والكثرة في عين الوحدة»[(٣)].

وما قدمه الخميني من تفسير؛ دال علىٰ أنهم يؤمنون بأنه لا وجود في الخارج إلا للذات الإلهية، وهذا في حقيقة الأمر هو تصريح بتبني وإيمان فلاسفة النظام الإيراني بفلسفة وحدة الوجود، التي قال بها غلاة الصوفية الفلاسفة من قبل. وفي إيضاح حقيقة الموقف الفلسفي الشيعي، يقول الفيلسوف محمد تقي مصباح اليزدي: «لو أن إنسانا حضر مجلسًا تجلس فيه حبيبته علىٰ مقربة منه، لكن الخمار أو البرقع يغطي وجهها فهو في حجاب عنه، إلا أن الفتاة كانت تعمد، كلما غفل الآخرون عنها، إلىٰ رفع

(١) شرح دعاء السحر للخميني ص٤٥.
(٢) من المبدأ إلىٰ المعاد لمنتظري ص٤٥.
(٣) شرح دعاء السحر للخميني ص١٠٣.

طرف من خمارها مبدية من الإشارات والإيماءات ما يعبر عن العشق، وموحية له أنها هي أيضًا تبادله مشاعر الحب! أيّ حال يا ترىٰ سينتاب هذا العاشق الولهان في موقف من هذا النوع؟! ألا يكون بوده أن يمتلك أجنحة ويطير فرحًا في تلك اللحظة؟! إنه سوف لن يستمتع بطعام ولا بشراب ولا بسائر اللذات الأخرىٰ في هذا المجلس، بل سيكون غارقًا في لذة تلك الإشارة التي تلقاها من المحبوب.

فالله ﷻ أيضًا له من هذه الإشارات مع أوليائه وأحبابه الكثير؛ وهي إشارات لا يراها الآخرون ولا يدركونها أصلًا. إنهم لا يعرفون شيئًا عما يفعله الله بقلوب أحبّائه! كما أن أولياء الله وأحباءه لا ينبسون ببنت شفة في هذا المجال، ولا يفشون تلك الأسرار للغير. ونحن عندما ننظر في وجوههم نتخيل أنهم مشغولون بالمطالعة أو التفرج علىٰ الجبال والبساتين والأنهار والبحار، لكنهم هم فقط الذين يعلمون ماذا يرون ويشاهدون»[(١)].

وبهذا نجد أن عقيدة فلاسفة النظام الإيراني في التوحيد، قد تناقضت مرة أخرىٰ مع العقائد المعروفة في المجتمع الشيعي؛ وذلك أنهم قالوا بوحدة الوجود، وهي عقيدة مرفوضة في التشيع الكلامي، يقول محسن الأمين: «اقترنت مقالة وحدة الوجود بإطار من صفة المروق من الدين والكفر والزندقة»[(٢)]. ويقول البروجردي: «القول بوحدة الوجود ينثلم معه جميع أساس التوحيد بل الشرائع كافة»[(٣)].

(١) محاولة للبحث في العرفان الإسلامي لمحمد مصباح اليزدي ص٢٦٨.

(٢) أعيان الشيعة لمحسن الأمين ج٩ص٣٢٧.

(٣) تفسير الصراط المستقيم للبروجردي ج٣ص ٣٦٩.

وإذا ما تجاوزنا موقف التشيع التقليدي من القول بوحدة الوجود، ورجعنا إلىٰ البحث في آثار إيمان فلاسفة النظام الإيراني بوحدة الوجود؛ نجد أنه لم يقف تأثرهم بالتصوف الفلسفي عند هذا الحد، بل ذهبوا إلىٰ القول بوحدة الأديان، متابعة للتصوف الفلسفي، يقول الخميني: «تطلق الإلهية والألوهية غالبـًا في لسان أهل الله "العرفاء" علىٰ مقام التجلي بالفعل، وعلىٰ مقام الفيض المقدس»[١]. ويقول: «فتعين العالم في التجلي الظهوري والقوس النزولي معبد الحق، والحق هو العابد والمعبود»[٢]. ويقول: «قد يطلق الإله بفيضه المقدّس الظاهر في النشأة العين»[٣].

فالخميني يفسر القول بوحدة الأديان، بناء علىٰ أنه لا وجود إلا لله ﷻ، وبما أنه لا وجود إلا لله ﷻ؛ فإنه يصح عبادة كل موجود؛ لأن العابد لم يعبد إلا الله ﷻ، وفي هذا نجده بنفسه يقول: «فكلُّ موجود له حظ من الوجود، يتمتع بحظ من حقيقة الألوهية»[٤].

وكنتيجة حتمية لقول الخميني بوحدة الأديان، نجد تلميذه مرتضىٰ مطهري يصرح بأن المجوس أهل ديانة صحيحة: «لقد أشرت مراراً إلىٰ أننا نعدّ المجوس أهل كتاب بمعيار عقائدنا الإسلامية، إذ إن الأساس الذي تقوم عليه هذه الديانة هو التوحيد وعبادة الإله الواحد»[٥]. بل إنه يتجاوز هذا إلىٰ التصريح بصحة عقائد الزرادشتية، حيث يقول: «نستطيع أن نعتبر زردشت

(١) الأربعون حديثـًا للخميني ص٧١١.

(٢) سر الصلاة للخميني ص١١٨.

(٣) تعليقات علىٰ شرح فصوص الحكم للخميني ص ١١٦.

(٤) آداب الصلاة للخميني ص٢١١.

(٥) النبوة لمرتضىٰ مطهري ص٤٢١.

- اعتماداً على أقوال بعض المحققين - مؤيداً للتوحيد في العبادة»[١].

وقـول فلاسـفة النظـام الإيـراني بوحـدة الأديـان، شـيء حتمـي لقـولهم بوحدة الوجود؛ فإن العلاقة بين القولين علاقة تلازم؛ فإن الشرك: عبادة غير الله ﷻ. والمؤمن بأنه لا وجود إلا لله ﷻ، لن يوجد عنده مشرك أبدًا؛ لأن العابد مهما عبد، فإن عبادته لن تكون موجهة إلا إلى الله ﷻ.

الركن الثاني: العدل:

كما تأثرت عقيدة التوحيد في التشيع بالفلسفة، فإن عقديتهم في الأصل الثاني من أصول الإيمان في المذهب الشيعي قد تأثرت بالفلسفة أيضًا؛ فإن التشيع قد أخذ على يد فلاسفة النظام الإيراني ينتقل من المفهوم المعتزلي لأفعال الإنسان، إلى الرؤية الفلسفية الصوفية لها، وأمسى ينكر فعل الإنسان لما يصدر عنه من أفعال، يقول الخميني: «ففي التوحيد الفعلي يرى السالك كلّ فعل ظهور فعله. وتنزيهه بأن لا يرى فعل الغير أبدا»[٢].

ويقوم شرح فلاسفة الشيعة لهذا، على أن الكون قائم على نظام العلية، والله ﷻ هو مبدأ كل فعل، ومتى ما فعل ﷻ فعلًا؛ فإن آثار فعله ﷻ تنزل في سلسلة القوس النزولي، إلى أن يصل الأثر إلى الإنسان، الذي سيفعل فعله، بلا مشيئة منه للترك؛ لأنه محكوم بنظام السببية، التي تسيره حيث سارت، يقول حسين المنتظري: «نظام الكون يقوم على الأسباب والمسببات، وأن كل حادثة معلولة لعلتها، وفي الوقت نفسه فإن سلطة الله

(١) العدل الإلهي لمرتضى مطهري ص٨٥.
(٢) مصباح الهداية إلى الخلافة للخميني ص ٨٠.

وقدرته المطلقة قائمة علىٰ جميع نظام الأسباب والمسببات، وأن نظام الوجود بلحمته وسداه من العالي إلىٰ الداني عين الارتباط بالله في حدوثه وبقائه، وأن قطع الارتباط به يساوق الفناء»(١).

وبهذا نجد أن فلاسفة النظام الإيراني لم يقولوا بالعدل بمعناه المعروف في المجتمع الشيعي، والذي يقوم علىٰ أن الإنسان هو الخالق لما يصدر عنه من أفعال. بل ذهبوا إلىٰ القول المناقض لهذا القول، أي: القول بأن الإنسان واقع في نهاية السلسلة العلية، وبهذا فإنه يفعل ما يفعل بلا إرادة أو مشيئة للفعل أو الترك.

ولا شك أن كلا القولين غير صحيح، وأن الصحيح: أن الإنسان يفعل بإرادة ومشيئة، ولكنه لا يمكن له أن يفعل فعلًا لا يريده الله ﷻ، ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨ - ٢٩].

۞ الركن الثالث: النبـوة:

ترتبط عقيدة فلاسفة النظام الإيراني في النبوة بالفلسفة ارتباطًا قويًا؛ حيث ذهبوا في شرحهم للنبوة، إلىٰ أن الإنسان يسعىٰ في معرفة الحق، وينطلق من التصور الذي نحن عليه الآن - أي: ينطلق من إيمانه بوجود خالق ومخلوق - إلىٰ البحث عن حقيقة الوجود، والحقيقة عند فلاسفة النظام الإيراني، هي ما مر معنا من أنه لا وجود - كما يزعمون - إلا لله سبحانه وتعالى، يقول محمد تقي مصباح اليزدي: «هذا السير بالنسبة لأي إنسان، يبدأ من

(١) من المبدأ إلىٰ المعاد لمنتظري ص١٩٦.

مبدأ هو وضع الإنسان الحالي، ويختتم بمنتهىٰ، وهو ذلك المقام الذي يعنون بعناوين شتىٰ مثل: عند الله. ولقاء الله. والفناء في الله»[1].

وبهذا نجد أن فلاسفة النظام الإيراني موافقون لغلاة الغلاة من فلاسفة الصوفية، الذين يذهبون إلىٰ القول بكسبية النبوة، ووجه الارتباط: أن النبي لدىٰ هؤلاء، شخص مجتهد في طلب النبوة، فإنه في مرحلته الأولىٰ كان إنسانا مماثلًا لبقية البشر، الذين يؤمنون بوجود الخالق ﷻ ويؤمنون بوجود المخلوق. ولكن هذا الشخص السالك في العرفان الشيعي، لم يرض بهذه المرتبة، بل سعىٰ في تحصيل المعرفة العرفانية، ولم يتوقف إلىٰ أن وصل إلىٰ الفناء في الذات الإلهية، وصار - كما زعموا - الوجود واحدًا، هو الله ﷻ، وبناء علىٰ هذا؛ فإن النبي صار فانيًا في الذات الإلهية، يقول عبدالله جوادي الآملي: «فتبين أن النبي ﷺ في منتهىٰ النبوة وعروجها لا سهم له إلا الفناء، والفاني لا أثر له أصلًا، وإنما السهم لمن له البقاء»[2].

وقد فسر عرفاء الشيعة هذه الرحلة، بأنها عبارة عن أسفار عقلية أربعة، يبتدأ فيها المسافر وهو إنسان مادي، ولا ينتهي منها إلا وهو إنسان كامل، أي: كامل في معارفه الروحانية، وهذه الأسفار الأربعة هي: **السفر الأول: السفر من الخلق إلىٰ الحق**. وفي هذه المرحلة يجتهد السالك في رفع الحجب التي تحول بينه وبين رؤية الله ﷻ، ولن ينتهي هذا السفر إلا بعد إيمان السالك العرفاني بأنه لا وجود إلا لله ﷻ، وأما المظاهر المشاهدة في

---

(١) محاولة للبحث في العرفان الإسلامي لمحمد مصباح اليزدي ص٢٠٩.
(٢) الوحي والنبوة لعبدالله جوادي الآملي ص٢٠٨.

الخارج، فعبارة عن مظاهر يظهر من خلالها الرب ﷻ.

ثم ينتقل من هذا السفر إلىٰ **السفر الثاني، أي: السفر من الحق إلىٰ الحق**. وهو في هذه المرحلة لم يعد مؤمنا بثنائية الوجود، التي كان عليها في سفره الأول؛ فإنه في السفر الأول كان يقول بوجود الله ﷻ، ويقول بوجود مظهر يظهر منه الله ﷻ، الذي هو العالم المشاهد. وأما في سفره الثاني فإنه لم يعد يؤمن بهذه الثنائية، بل صار يؤمن بفلسفة وحدة الوجود إيمانا تامًا، وأخذ يذهب إلىٰ أن الوجود وجود واحد، هو الله ﷻ، وأن هذه الموجودات المشاهدة، واقعة في الذات الإلهية، وليست مظهرًا تظهر من خلاله الذات الإلهية، وبهذا فإن العارف قد صار إنسانا كاملًا مماثلًا - تعالىٰ الله ﷻ عن قولهم الباطل علوًا كبيرًا - لله ﷻ.

وقد يعبرون عنه بالتحقق بالأسماء الإلهية، أي: سعي العارف الشيعي لأن يتخلق بالأخلاق الإلهية، من خلال سعيه لأن يكون مظهرًا للأسماء الحسنىٰ، إلىٰ أن يتحقق بالاسم الأعظم، الجامع للأسماء الإلهية جميعًا، وبهذا يكون إنسانا كاملًا؛ فيكون مظهرًا للأسماء والصفات الإلهية جميعًا، يقول عبدالله جوادي الآملي: «فلابد من ظهور أوصاف الحق تعالىٰ في الإنسان الكامل بعنوان المظهرية التامة له»[1]. ويقول: «الإنسان الكامل هو مظهر الاسم الأعظم»[2].

ثم يأتي **السفر الثالث: أي: السفر من الحق إلىٰ الخلق**. أي: الرجوع إلىٰ الخلق، الذين يرون أنفسهم مخلوقات مادية، واقعة في العالم المادي

(١) الإمام المهدي الموجود الموعود لعبدالله جوادي الآملي ص١٣٠.

(٢) المعاد في القرآن الكريم لعبدالله جوادي الآملي ص١٠٨.

المشاهد، المباين لله ﷻ؛ ليبين لهم خطأ هذا الفهم، ويرشد من كان منهم صالحًا لدخول عالم العرفان، ويبين له أن هذه الموجودات المشاهدة بالعيان، إنما هي تكثرات واقعة في الذات الإلهية، وفي التأكيد على أن النبوة عبارة عن رجوع الإنسان الكامل إلى الخلق؛ ليبين لهم أن الحق ليس إلا القول بوحدة الوجود، يقول مرتضى مطهري: «النبوة هي الرجوع إلى الكثرة من أجل قيادتهم نحو الوحدة»(١).

ثم يأتي **السفر الرابع، وهو: السفر من الخلق إلى الخلق بالحق.** والوصول إلى التمكن من هذا السفر، مما لا يقدر عليه إلا الأفراد من الأفراد السالكين للأسفار العقلية الأربعة، يقول حسين المنتظري: «لا يخفى أن الأفراد يختلفون في هذه الأسفار من حيث السرعة والبطء، والتحلي بالصفات الكمالية الإلهية، فمنهم من يصل إلى الحد الأعلى بينما يرزح الآخر في مرتبة أدنى. والأنبياء عليهم السلام بفعل قابليتهم واستعدادهم الخاص ورعاية الله بعد إكمال هذه الأسفار المعنوية - يتلقون بالوحي المنهج الضروري لتنظيم حياة الناس»(٢).

والفرق بين السفر العقلي الرابع، والسفر العقلي الثالث: أن السالك في سفره الثالث، قد اكتسب النبوة، وأما في سفره الرابع، فإنه قد اكتسب الرسالة؛ فصار نبيًا ورسولًا في الوقت نفسه، ومع هذا فإنه إنسان كامل معصوم، يقول عبدالله جوادي الآملي: «المهم هو التنبيه بأن الإنسان الكامل المعصوم المتسم بسمة النبوة والرسالة الذي يكون قوله وفعله وتقريره السكوتي حجة

(١) ختم النبوة ص٣٥.
(٢) من المبدأ إلى المعاد لمنتظري ص٩٢.

دينيـة للأمـة الإسـلامية يكـون منزهًـا عـن الجهـل العلمـي والجهالـة العلميـة والخطأ والخطيئة في أي شيء يرجع إلىٰ الدين»[١].

وكل هذه الأسفار العقلية الأربعة، داخلة في مقـام الولايـة، الـذي يـرىٰ فلاسفة الشيعة أنه اسم جامع لكـل مراتـب السير والسـلوك العرفانيـة، التي يعلوها العرفاني مرتبة مرتبة، وإن شئت قلت: يكـون فيهـا العـارف الفلسـفي مظهرًا للأسماء الإلهية، ولا يزال ساعيًا في أن يكون مظهرًا للمزيـد والمزيـد مـن الأسـماء الإلهيـة، إلـىٰ أن يكـون مظهـرًا للاسـم الأعظـم، الـذي يجمـع الأسماء الإلهية جميعًا؛ وهنا يكون الإنسان إنسانا كاملًا، ولازم كونه إنسانا كاملًا: أن يكون نبيًا، بل قد يكون رسولًا، صـاحب رسـالة ونبـوة، إن تمكـن من الوصول إلىٰ السفر العقلي الرابع.

وبمـا أن النبـوة والرسـالة عبـارة عـن وصـول السـالك إلـىٰ مراتـب معينـة ومحـددة في الأسـفار العقليـة الأربعـة؛ فـإن النبـوة والرسـالة صـارت كسـبية لا اصطفاء. وقول فلاسفة النظام الإيراني بهـذا، ممـا يرفضـه علمـاء الشيعة قبـل غيـرهم، يقـول جعفـر السـبحاني: «الإيمـان بخاتميـة الرسـول، وأنـه لا نبـي ولا رسـول بعـده، مـن صـميم العقيـدة الإسـلامية، ومـن أنكـر الخاتميـة، وادعـىٰ استمرار الوحي بعد النبي ﷺ، أو إمكان ظهور نبي جديد مع شـريعة جديـدة، فقـد خـرج عـن ربقـة الإسـلام؛ لأن ذلـك متعـارض مـع العقيـدة الإسـلامية قـال سـبحانه: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾»[٢].

---

(١) الوحي والنبوة لعبدالله جوادي الآملي ص٢٤٧.

(٢) رسائل ومقالات لجعفر السبحاني ص٤٥١.

الركن الرابع: الإمامة:

تعتبر الإمامة والكلام فيها من الإضافات التي أضافها التشيع الفلسفي إلىٰ فلسفة الإشراق؛ فإن العرفان الذي رسمه ابن عربي يقوم علىٰ أن العارف السالك يتكامل في معارفه الفلسفية، إلىٰ أن يصير إنسانا كاملًا، كما مر معنا في النبوة آنفا. وأما لدىٰ فلاسفة النظام الإيراني، فإنهم وإن وافقوا فيما سبق، إلا أنهم أضافوا الإمامة، معتبرين أنها آخر مراتب الكمال للمسافر في الأسفار الأربعة، وقد عقد عبدالله جوادي الآملي عنوانا باسم: «مراحل التكامل من المعرفة حتىٰ الإمامة»[(١)].

وهذه الإضافة - أي: جعل الكمال مرهونا بالوصول إلىٰ الإمامة - ليست إضافة جوهرية؛ فإن التصوف الفلسفي قائم برمته علىٰ أن الكمال: بلوغ العارف الصوفي إلىٰ درجة الإنسان الكامل، ولا يصل إلىٰ هذه الدرجة إلا من كان مظهرًا للاسم الإلهي الأعظم، وهذا هو منتهىٰ الكمال في الفلسفة الشيعية أيضًا، يقول محمد تقي مصباح اليزدي: «منتهىٰ الكمال الإنساني هو بتمكن المرء من التمتع بكل تلك الأسماء والصفات الإلهية»[(٢)].

وبهذا نجد أن ما قام به الشيعة من إضافات، إنما هو إضافة لفظية لا حقيقية؛ دفعهم إلىٰ القول بها: علو منزلة الإمامة في الفكر الشيعي، ومن هنا فسروا الغاية في العلو بالإمامة. ومع موافقتهم للجمهور الشيعي في الرفع من منزلة الإمامة، إلا إنهم خالفوهم من وجه آخر؛ حيث ذهبوا إلىٰ أن الإمامة مرتبة كسبية، يقول عبدالله جوادي الآملي عنوانا باسم: «الذي

(١) التوحيد في القرآن لعبدالله جوادي الآملي ص١٣٥.
(٢) محاولة للبحث في العرفان الإسلامي لمحمد مصباح اليزدي ص١٣٥.

لا يختم بالإمامة لا يزال من مراحل الطريق»[1]. ويقول: «الإمامة هي أعلىٰ مراتب الإنسانية وأرفعها»[2].

وتحرير مذهب فلاسفة النظام الإيراني في الإمامة، سيأتي معنا مفصلًا - إن شاء الله - في المبحث التالي.

الركن الخامس: المعاد:

إذا ما أردنا أن نعرف حقيقة المعاد في الفلسفة الصوفية عمومًا، ولدىٰ فلاسفة النظام الإيراني خصوصًا، فإن مما يعين علىٰ هذه الغاية، أن نتأمل قول حسين المنتظري: «إن الإنسان أشرف مخلوقات هذا العالم، وهو حاو لجميع كمالات العناصر والمركبات العلوية والسفلية، وقد خلق لهدف أسمىٰ وأشرف، ألا وهو بلوغ الكمال المطلق ومشاهدة الجمال الربوبي الذي هو غاية غايات نظام الوجود، وسيتجلىٰ هذا الأمر في عالم أسمىٰ من هذا العالم»[3].

فالغاية التي من أجلها وجد الإنسان، هي: مشاهدة الجمال الربوبي، أي: الإيمان بفلسفة وحدة الوجود، وهذه الغاية عامة في كل البشرية، ومع عمومها في البشرية، فإنها عامة في الزمان أيضًا؛ فإنه لا نهاية أو فناء للبشرية، يقول عبدالله جوادي الآملي: «من أجل تربية الإنسان الذي هو موجود أبدي في نظر القرآن لا بد من وسائل أبدية لا تفنىٰ ولا تزول، وتلك هي العلم

(١) التوحيد في القرآن لعبدالله جوادي الآملي ص١٤٧.
(٢) التوحيد في القرآن لعبدالله جوادي الآملي ص١٤٧.
(٣) من المبدأ إلىٰ المعاد لمنتظري ص٢٣٨.

والمعرفة والعمل الصالح»[١].

والمراد بالعلم والمعرفة والعمل الصالح: سلوك العرفان العملي، الذي هو عبارة عن الخلوات الصوفية، وما يقال فيها من أوراد وأذكار، والتي يرتفع القائم بها في علمه بحقائق الموجودات، ويوقن - بزعمهم - بأنه لا وجود إلا لله ﷻ، وأما غيره من الموجودات، ففيض من فيضه ﷻ، ولا يزال يترقىٰ ويعرف حقيقة العرفان شيئًا فشيئًا، إلىٰ أن يصل إلىٰ التجرد التام، ويعلم أنه بذاته داخل في الذات الإلهية، وأنه لا وجود إلا لله ﷻ؛ وبهذا فإن القيامة قد قامت عليه، يقول حسين المنتظري: «كلما ارتفع في قوس الصعود، اقترب من مصدر النور والحق تعالىٰ أكثر، ومن هنا يفقد ماهياته وحدوده السابقة وتقل محدودياته الوجودية، ولذلك يكون علم الإنسان في عالم البرزخ أشد منه في عالم الدنيا، كما أن علمه في الآخرة أشد منه في عالم البرزخ، قال تعالىٰ: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾. إن حقيقة المعاد الكامل والتام تعني بلوغ مرتبة التجرد الكامل والعقل الصرف، والوصول إلىٰ الله ومشاهدة جماله الربوبي، ويتجلىٰ ذلك بشكل كامل يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. فهذه هي الغاية من خلق الإنسان»[٢].

وبهذا نجد أن فلاسفة النظام الإيراني يقدمون تفسيرًا مجازيًا لقيام القيامة، ذاهبين إلىٰ أن يوم القيامة عبارة عن تغير نظرة الشخص للوجود،

---

(١) التوحيد في القرآن لعبدالله جوادي الآملي ص١٣٦.

(٢) من المبدأ إلىٰ المعاد لمنتظري ص٢٤٠.

ومتـىٰ مـا تغيـرت نظرتـه، وعـرف أنـه لا وجـود إلا لله ﷻ، وأن الوجـود سرمدي، لا بداية أو نهاية له؛ فإن القيامة الكبرىٰ قد قامت عليه بنفسه، وإن لم تكن قد قامت علىٰ غيره من البشر المحيطين بـه، وفي هـذا يقـول عبـدالله جوادي الآملي: «بمقدار ما يظهر الحق في روح الإنسان فسيكون لـه ارتبـاط بنفس ذلك المقدار مع مبدأ العالم، ومع المعاد أيضًـا. وفي النتيجـة سيرتبط بالأزلية وبالأبدية. وسيكون في نهايـة الأمـر مظهـرًا لله الـذي لا يمـوت أبـدًا. ونحن من أجل أن نحس بهذا المبدأ بشكر أفضل وأن نأتي بصورة أفضل فلا طريق لنا إلا التلبس بالحق. فنعرف الحق أولًا ثم نقبلـه ولا نعمـل عمـلًا إلا حقًا ولا نتكلم كلامًا إلا حقًا، لأن معرفة الحق لا تتيسـر إلا بـأداء الوظـائف الحقة. القيامة يوم الحق ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّ﴾. والإنسان المتلبس بالحق يعرف يوم الحق، ولا يمكن لمن هو من أهل الباطل أن يستطيع أن يجد الأنس مع القيامة ويعرف المعاد. ومن غير الممكن لمن لـم يظهر له الحـق في نفسـه أن يتمكن من معرفة القيامة والمعاد، فهو لا يملك أدوات المعرفة»[1].

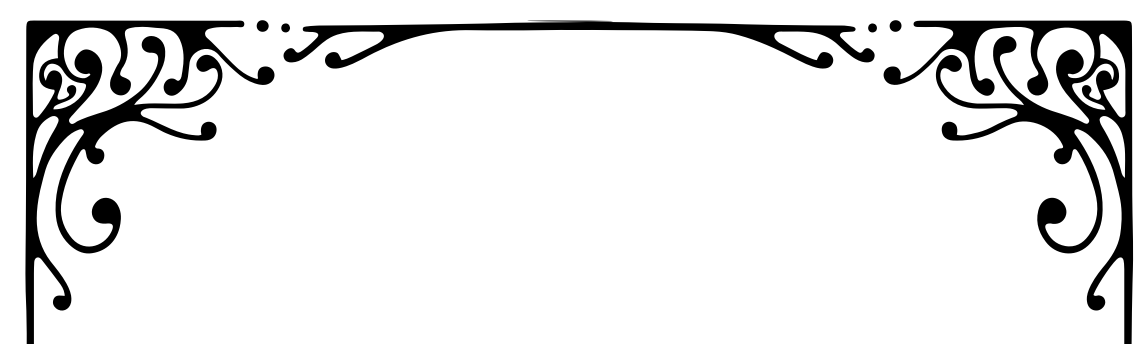
ومن وصل إلىٰ هذه المرحلة، وتمكن من رؤية الله ﷻ، وآمـن بفلسـفة وحدة الوجود، وقامت عليه القيامة؛ فإنه لـم يعـد مـأمورًا بالعبـادات، بـل إن التكاليف قد سقطت في حقه؛ لأن الغاية من العبادة هي: الوصـول إلـىٰ هـذه الدرجة العرفانية، وقد بلغها هـذا السـالك؛ فلـم يعـد - بـزعمهم الكـاذب - مطالبًا بالتكاليف، أو مأمورًا بفعل العبادات، يقول حسين المنتظـري: «فـإن الذين تمكنوا في هذه الدنيا وقبل الموت الاضطراري من طي منازل الكمال

(١) المعاد في القرآن الكريم لعبدالله جوادي الآملي ص١٧٦ - ص١٧٧.

بحركتهم المعنوية وماتوا بالموت الاختياري قد وصلوا بحسب باطن ذواتهم إلىٰ حقيقة المعاد في هذه النشأة، وإن كانوا بحسب البدن المادي و العنصري لا يزالون في هذا العالم، ولم يبلغوا المعاد العمومي والشمولي، وهؤلاء ليس عليهم حجاب يحول دون مشاهدتهم نور الحق تعالىٰ، وليس لهم محاسب؛ لأنهم قد حاسبوا أنفسهم في هذه النشأة، ويرون المنعمين في الجنة والرازحين في النار وما هم عليه من النعيم والعذاب»[1].

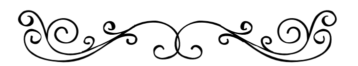
وبما سبق نعلم عمق الأثر الفلسفي علىٰ عقائد فلاسفة النظام الإيراني، ونعلم أنهم قد آمنوا بعقائد فارقوا بها الجمهور الشيعي، ولم يدخلوا بها في السنة، بل سلكوا مسلك فلاسفة الصوفية.

(١) من المبدأ إلىٰ المعاد لمنتظري ص٢٤١.



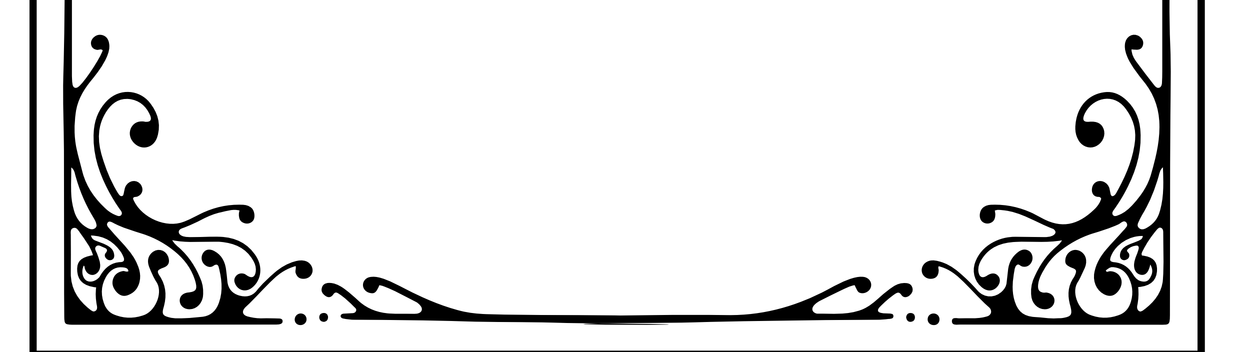
المبحث الثالث

فلسفة الإمامة بين الجمهور الشيعي والنظام الإيراني



وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: ماهية الإنسان الكامل لدى فلاسفة النظام الإيراني.
- المطلب الثاني: أهمية الإمام الحافظ للشرع في المعتقد الشيعي.



المطلب الأول

ماهية الإنسان الكامل لدى فلاسفة النظام الإيراني

عرفنا أن الإمامة في الفكر الفلسفي الشيعي، أضحت عبارة عن صيرورة الإنسان السالك العرفاني إنسانا كاملًا، فما من إمام إلا وهو إنسان كامل، يقول عبدالله جوادي الآملي: «الإمام المعصوم المصداق الأتم للإنسان الكامل»(١). وعرفنا أن بلوغ درجة الإنسان الكامل، ليس موقوفًا علىٰ شيء، إلا الجد والاجتهاد، والسعي للوصول إلىٰ هذه الدرجة، وفي هذا يقول مرتضىٰ مطهري: «الإنسان الإسلامي الكامل هو الإنسان السالك يجتاز الأبواب باباً باباً ويمر بالمنازل منزلاً منزلاً، حتىٰ يقف أمام باب السلامة، فهل الاقتراب من الله ممكن؟ نعم، بغير شك»(٢).

ولكن ما المنهج في الوصول إلىٰ هذه الدرجة؟ وإن شئت قلت: ما المنهج في اكتساب الإمامة التي يؤمن بها فلاسفة النظام الإيراني؟

هذا السؤال الكبير مما أجاب عليه الفيلسوف والعرفاني الشيعي عبدالله جوادي الآملي، عندما قال: «الإنسان الكامل المعصوم عليه السلام مجلىٰ للصفات العليا ومرآة للأسماء الإلهية الحسنىٰ»(٣). وكون الإنسان الكامل

(١) الإمام المهدي الموجود الموعود لعبدالله جوادي الآملي ص٥٠.

(٢) الإنسان الكامل لمرتضىٰ مطهري ص١٤٣.

(٣) الإمام المهدي الموجود الموعود لعبدالله جوادي الآملي ص٩٤.

مجلىٰ للصفات الإلهية، ومرآة للأسماء الحسنىٰ، هو ما تقدم معنا ذكره، من أن العارف الصوفي، يسعىٰ لأن يكون مظهرًا للأسماء والصفات الإلهية، ولا يزال ساعيًا في طريقه، إلىٰ أن يكون مظهرًا للاسم الإلهي الأعظم، الجامع لجميع الأسماء الإلهية؛ وبهذا يصير إنسانا كاملًا، ولازم كونه إنسانا كاملًا: أن يكون مؤمنا بفلسفة وحدة الوجود، زاعمًا أنه لا وجود إلا لله ﷻ.

والوصول إلىٰ هذه الدرجة العرفانية، شيء لن يقدر عليه إلا الإنسان، وأما غيره من الموجودات المتكثرة في الخارج، فعاجزة عن هذا؛ فإن هذه الموجودات مع كونها مظاهر للأسماء الإلهية، إلا أنها لا تملك القدرة علىٰ طي الأسفار العقلية الأربعة، وبسبب عجزها وقدرة الإنسان؛ كان الإنسان وحده هو القادر علىٰ أن يكون خليفة لله ﷻ، يقول الفيلسوف محمد تقي مصباح اليزدي: «هناك قابلية في وجود الإنسان بحيث يكون بإمكانه أن يبرز كل الأسماء الإلهية فيصير مظهرًا لها جميعًا. هذه القابلية مختصة بالإنسان، وإذا ما وجدت بالفعل في إنسان ما في جميع شؤونه، أي إنه يكون واجدًا للأسماء كلها، عندها سيكون هذا الإنسان خليفة الله»[(١)].

وبهذا نعلم أن معنىٰ كون الإنسان خليفة لله سبحانه وتعالى: أن الإنسان العارف الصوفي، يسعىٰ في تحصيل الكمالات بمفهومها العرفاني، إلىٰ أن يصير إنسانا كاملًا، وبما أنه لا يصير إنسانا كاملًا، إلا إن صار مظهرًا للاسم الإلهي الأعظم، الجامع للأسماء الحسنىٰ جميعًا؛ فإنه سيكون مظهرًا للأسماء والصفات الإلهية جميعًا؛ وبهذا يكون خليفة الله ﷻ في الأرض؛

(١) محاولة للبحث في العرفان الإسلامي لمحمد مصباح اليزدي ص١٥٣.

لأن الأسماء والصفات الإلهية تظهر - كما يزعمون - لأهل الأرض، من خلال ظهورها في هذا الإنسان الكامل، يقول عبدالله جوادي الآملي: «هذه الخلافة بمعنى: أن كل ما هو لله تعالى بالأصالة وبالذات وبشكل أزلي واستقلالي يكون للإنسان الكامل»[1].

وللتعبير عن هذه الفكرة بألفاظ أخرى، نذكر أن الفلسفة لدى فلاسفة الإشراق عمومًا، ومنهم فلاسفة النظام الإيراني، عبارة عن التشبه بالخالق ﷻ، ومتى ما تمكن العارف الصوفي من هذا؛ كان إظهاره لما عرفه من معارف لا يعرفها الناس، هو إظهارًا للأسماء والصفات الإلهية بزعمهم، فإنه ما ثم إلا العالم العقلي، أو العالم المادي، وبما أن الوجود واحد؛ فإن كلا العالمين - أي: العالم العقلي والعالم المادي - يقعان في الذات الإلهية؛ فكان ظهور الإنسان الكامل في العالم المادي؛ إظهار للأسماء والصفات الإلهية الموجودة في كلا العالمين؛ فكان هذا الإنسان الكامل خليفة لله ﷻ، كما يزعم هؤلاء الفلاسفة العرفاء، يقول الخميني: «قد حان حين أن تعلم معنى خلافة العقل الكلّي في العالم الخلقي. فإنّ خلافته خلافة في الظهور في الحقائق الكونيّة»[2].

وبما أن الإمامة أمست كسبية؛ فإن من الضروري الاستدلال لهذا القول الجديد، وهو ما قام به الآملي، عندما استدل بقوله ﷻ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

---

(١) الإمام المهدي الموجود الموعود لعبدالله جوادي الآملي ص١٢٠.

(٢) مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية ص٧٢.

حيث يقول: «في ضوء تقسيم ذرية إبراهيم عليه السلام إلىٰ محسن وظالم وبيان أن عهد الإمامة لا يناله الظالمون منهم، فإن افتراض عدم نيل المحسنين منهم للعهد الإلهي يجعل هذا التقسيم أمرًا عبثيًا وتقييدًا بلا موجب. وبما أن كلام الذات الإلهية المقدسة منزه عن اللغو والعبث، يكون هذا الافتراض باطلًا من أساسه، وعلىٰ أساس البرهان المذكور يصل عهد الإمامة إلىٰ كافة أبناء إبراهيم عليه السلام المحسنين، أي: إن الأنبياء والأولياء الذين ينحدرون من ذرية إبراهيم عليه السلام أئمة محسنون صالحون»[1].

وهذه الآية من الآيات التي يكثر استدلال الشيعة بها؛ علىٰ قولهم بوجوب عصمة الإمام، وعلىٰ أن الإمامة لا تكون إلا بالنص من قبل الله عز وجل. وفلاسفة النظام الإيراني يوافقون الجمهور الشيعي في شطر مما قالوا به، ويخالفونهم في الشطر الثاني؛ فإن الكل متفق علىٰ أن الإمام معصوم، وأما كيفية الوصول إلىٰ الإمامة، فوقع فيها الخلاف العظيم، ففي حين يذهب الجمهور الشيعي إلىٰ أن الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله عز وجل، علىٰ لسان الإمام السابق، مستدلين بما رواه الكليني «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما مات عالم حتىٰ يعلمه الله عز وجل إلىٰ من يوصي»[2]. نجد أن فلاسفة النظام الإيراني قد وسعوا مفهوم الإمامة، وأمست كسبية لا وقفية، بمعنىٰ: أنه يمكن لزيد من الناس، أن يجتهد في سلوك المراتب العرفانية، إلىٰ أن يصير إنسانا كاملًا ذا عصمة وإمامة.

---

(١) الإمام المهدي الموجود الموعود لعبدالله جوادي الآملي ص٦٢.

(٢) الكافي للكليني ج١ ص٢٧٧.

فالإمامة كسبية، قائمة على سعي الإنسان للحصول عليها، وليست قائمة على النص؛ وبهذا فإنه لا بد من استحداث تفسير جديد لمصطلح: أهل البيت؛ لكي يتسق مع القول بعموم الإمامة، وإمكانية الكل الوصول إليها، ويكون في الوقت نفسه متسقًا مع ما هو مشهور في الفكر الشيعي، من حصر الإمامة في أهل البيت، وهو ما قام به الفيلسوف عبدالله جوادي الآملي بالفعل، عندما قال: «فالعترة الطاهرة – الممثلة بطائفة من الكمل في كل عصر – والقرآن الكريم – الذي هو كتاب إلهي محكم – هما الثقلان اللذان أوصى بهما نبي الإسلام الأعظم»(١). وبهذا نشهد اتساع مفهوم العترة، فبعد أن كان مقصورًا في فاطمة ﵂، وفي الاثني عشر إمامًا، اللذين يخلف كل واحد منهم السابق، صارت العترة طائفة في كل زمن.

وهذه الطائفة من الناس، التي لا يخلو زمان منها، أو من واحد منها على الأقل، مخصوصة بالسالكين للعرفان الصوفي، لا بالنسب العلوي؛ لأن السالكين للعرفان، هم من سيصل لمعرفة حقيقة الوجود، ووصولهم لمعرفة هذه الحقيقة، سيمكنهم من الوصول إلى درجة الإنسان الكامل=الإمامة، يقول حسين المنتظري: «نظام الوجود يتلخص في ذات الله الكاملة واللامتناهية، فهو الوجود المطلق والقائم بالذات، وما الموجودات إلا مراتب ودرجات متنوعة لفيضه وإشعاعاته، وعين التعلق والارتباط به، فما أمكن له منها أن يوجد، وجد في قوس النزول بإذن الله وإرادته، وتبدأ هذه المراتب من العقل الأول المتصل بإرادة الله بلا واسطة،

---

(١) الإمام المهدي الموجود الموعود لعبدالله جوادي الآملي ص١٢٢.

إلىٰ أدنىٰ مراتب الوجود الذي هو المادة، وأن نور الوجود يتنزل إلىٰ المراتب الدنيا عبر الوسائط، وفي الحقيقة إن كل مرتبة من هذه المراتب معلولة للمرتبة التي تسبقها، وإن علة العلل هو الله، وهذا حتىٰ الآن هو قوس النزول من إفاضة الله. ولكن بما أن الله فياض مطلق ولا ينقطع عن الإفاضة، تبدأ المادة بما لها من الاستعداد الكامن في ذاتها بالسير طبقا للحركة الجوهرية نحو الكمال، فتستمر إفاضة الله في قوس الصعود بحسب القابليات، فتظهر الكائنات المتنوعة في درجات ومراتب مختلفة حتىٰ يبرز في نهاية المطاف أفراد كاملون يضاهون العقل الأول في كمالهم. إذن فالإنسان الكامل وبعبارة أخرىٰ النبي والإمام هو الثمرة الطيبة العليا، والعلة الغائية العظمىٰ من عالم المادة وحركتها»[(١)].

ومن هؤلاء الأفراد الكاملون، الذين يزعم فلاسفة النظام الإيراني أنهم يضاهئون العقل الأول في كمالهم، وأنهم لم يأخذوا الإمامة إلا بعد بلوغهم لدرجة الإنسان الكامل: علي بن أبي طالب ﵁، يقول مرتضىٰ مطهري: «إن علياً كما نلاحظ، هو ذلك الإنسان»[(٢)]. وأما في العصر الحاضر، فإن فلاسفة النظام الإيراني يصرحون بأن الخميني هو ذلك الإنسان، الذي تمكن من بلوغ أعلىٰ درجات الكمال، يقول محمد تقي مصباح اليزدي: «مما لا شك فيه أنه في عصرنا الحاضر لابد من النظر إلىٰ مؤسس الجمهورية الإسلامية، الإمام الخميني ﵀ كأفضل أنموذج وأسوة للعرفان الإسلامي»[(٣)].

(١) من المبدأ إلىٰ المعاد لمنتظري ص١٤٢.
(٢) الإنسان الكامل لمرتضىٰ مطهري ص٥٨.
(٣) محاولة للبحث في العرفان الإسلامي لمحمد مصباح اليزدي ص١٨٧.

ومـن صـور الغلـو التـي كثيـرًا مـا تقـترن بالمتـأثر بالفلسـفة الإشـراقية عمومًا، ما ذكره الخميني من قدرات هائلة، زعم أن الإنسان الكامل يتحلىٰ بهـا، وبهـا يـتمكن مـن القيـام بـأمور خارقـة للعـادة، حيـث يقـول: «الإنسـان الكامل يملك إرادة كاملة، يستطيع أن يحوّل العنصر إلىٰ عنصر آخر، فإن عالم الطبيعة خاضع لإرادته»[1]. وفي هـذا المعنـىٰ يقـول حسـين المنتظـري: «باستطاعة الإنسان الكامل أن يبلغ مرتبة العقل والتجرد التام في هذه النشـأة المادية من عالم الـدنيا، ومـن هنـا تمكـن الأنبيـاء وأئمـة الهـدىٰ عليهم السلام بمجـرد إرادتهم من دون حاجة إلىٰ أداة مادية من الإتيان بالمعاجز»[2].

ومن أبرز المخالفات التي وقع فيها فلاسفة النظام الإيراني، وكانوا بها مخالفين للجمهور الشيعي، بل الإسلامي عمومًا: ما زعموه مـن أن الإمامـة مستمرة أبدًا، يقول عبدالله جوادي الآملي: «ولما كانـت الإمامـة منـة إلهيـة، كانت نعمة مستمرة يستفيد منها الناس دومًا، ما يلزم أن يكون في كـل عصـر إمام هو في عالم الملكوت عالم كبير، وإن كـان مستضـعفًا في الأرض، وأمـا من كان في باطنه ضعيفًا فقيرًا، فلا يعقل أن ينال هذا المقام الرفيـع ولـو كـان معززًا مكرمًا في الأرض»[3].

فإن هذا النص، وإن بـدىٰ موافقًـا لمـا عليـه الجمهـور الشـيعي، مـن أن الإمام قد يكون ظاهرًا مشهورًا، أو خائفًا مستورًا، إلا أنه مخالف في الحقيقة للمعتقد الشيعي مخالفة جوهرية؛ فإن الفكر الشيعي يقـوم علـىٰ أن الإمامـة

(١) الأربعون حديثاً للخميني ص٦٧٨.
(٢) من المبدأ إلىٰ المعاد لمنتظري ص٢٤٢.
(٣) الإمام المهدي الموجود الموعود لعبدالله جوادي الآملي ص٥٨.

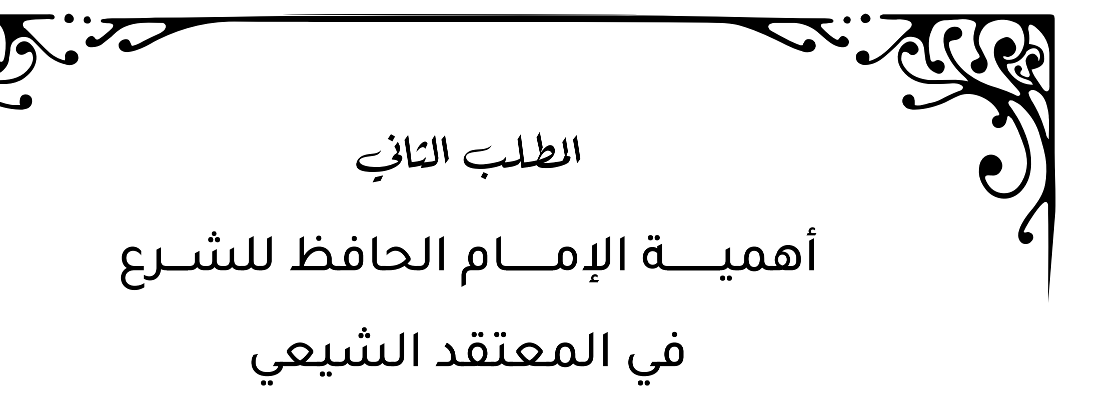
ستختم بمحمد بن الحسن العسكري، وفي عصره تقع الرجعة، علىٰ خلافات وتفصيلات ليس الموضع موضع ذكرها، ولكن الأهم أن الأئمة محصورون في اثني عشر إمامًا، آخرهم: محمد بن الحسن العسكري، ولأجل هذا فإن الشيعة يذهبون إلىٰ أن من أضاف في سلسلة الإمامة إمامًا واحدًا؛ فقد خرج من الدين، مستدلين بقول أبي «عبدالله عليه السلام: الأئمة بعد نبينا صلى الله عليه وآله اثنا عشر نجباء مفهمون، من نقص منهم واحدا، وزاد فيهم واحدا؛ خرج من دين الله»(١). وأما فكر فلاسفة النظام الإيراني، فإنه – وكما نص جوادي الآملي – يقوم علىٰ أن الإمامة نعمة مستمرة أبدًا، وأنها ليست محصورة بعدد معين من الأئمة.

وثمة مخالفة وقع فيها فلاسفة النظام الإيراني، وهي مخالفة أكبر وأعظم من قولهم باستمرار الإمامة إلىٰ ما لا نهاية، وإن كانت كلتا المخالفتين مبنيتين علىٰ أصل فلسفي واحد، وقد تمثلت هذه المخالفة في تفسيرهم للقيامة تفسيرًا مجازيًا، مع قولهم باستمرار الإمامة إلىٰ ما لا نهاية. وهم بهذا قد خالفوا الجمهور الشيعي؛ فإن الشيعة يؤمنون بأن قيام الساعة سيتلو خروج المهدي المنتظر، وتنتهي هذه الحياة الدنيا. وهذا شيء لا يتفق مع تفسير فلاسفة النظام الإيراني للوجود؛ فإنهم – كما سبق – يذهبون إلىٰ أن قيام القيامة عبارة عن معرفة حقيقة الوجود، والإيمان بفلسفة وحدة الوجود، وبما أنه لا وجود إلا لله عز وجل؛ فإن القيامة – بزعمهم – لن تقوم حقيقة، وأن قيامها إنما هو معنىٰ مجازي، عن تبدل نظرة العارف الصوفي إلىٰ الوجود الخارجي، وإيمانه بأنه لا وجود إلا لله سبحانه وتعالى.

---

(١) الاختصاص ص٢٣٣.

وبالتالي فالحياة الدنيا موجودة أبدًا، وكذلك الإمامة هي مستمرة أبدًا، فكلما مات إنسان كامل، وجد إنسان كامل آخر، يتمكن من معرفة حقيقة الوجود، علىٰ وفق ما ذهبوا إليه في فلسفة وحدة الوجود.



المطلب الثاني

أهميـــة الإمـــام الحافظ للشــرع في المعتقد الشيعي

من المهم أن نؤكد في بداية هذا المطلب، على أننا لا ننكر أن لفلاسفة النظام الإيراني من الأقوال ما يتفق مع عقائد جماهير الشيعة، ولكننا في الوقت نفسه نؤكد على أن أقوالهم الفلسفية تناقض أقوالهم العقائدية، وأقوالهم الفلسفية أقوال ثابتة النسبة إليهم قطعًا، ولا يمكنهم أن يتبرؤوا منها؛ لأنها - كما ظهر معنا - أقوال منقولة من كتبهم بالنص، ومع كونها منقولة من كتبهم بالنص، فإنها موافقة في المعنى للفلسفة العرفانية التي أسسها الفيلسوف ابن عربي الصوفي؛ فصرنا أمام قولين: الأول: أقوال فلاسفة النظام الإيراني الموافقة للعقائد السائدة في المجتمع الشيعي. الثاني: الأقوال الفلسفية التي امتاز بها فلاسفة النظام الإيراني عن المجتمع الشيعي.

ولا يمكن أن يقال: إن القول المعتمد عند فلاسفة النظام الإيراني، هو القول الموافق للمذهب الشيعي؛ لأن الأقوال الفلسفية المنقولة عنهم، ليست أقوالًا متناثرة، يمكن أن توصف بأنها أقوال متشابهة، بل هي أقوال تشكل بمجموعها منهجًا قائمًا بنفسه، يبين حقيقة نظرة هؤلاء الفلاسفة للكون، وما هي صلته بالله ﷻ، وما أثر هذا على الاعتقادات التي يجب على الفرد أن يؤمن بها. ثم إن الكثير من فلاسفة النظام الإيراني يصرح بمتابعته لابن عربي، وإن لم يكن يصرح بحقيقة الأقوال الفلسفية التي يؤمن بها، ومن الأمثلة على هذا: الخميني نفسه؛ فإن له تعليقات على فصوص الحكم لابن عربي.

ثـم إن مـنهج هـؤلاء - فلاسـفة وعرفـاء النظـام الإيـراني - في نشـر مـا يؤمنون به، يقوم علىٰ مبدأ التقية، وعدم إظهار ما يؤمنون به، إلا لـم تمحض منهم، أو تمكن من تفكيك منظومتهم المعرفية، القائمة علىٰ السرية التامـة، يقول الخميني: «خاتمة ووصيّة: إيّاك أيّها الصدّيق الروحـاني، ثـمّ إيّـاك والله معينـك في أولاك وأخريـك أن تكشـف هـذه الأسـرار لغيـر أهلهـا»[1]. إذن فالعرفـان أسـرار، والأسـرار عبـارة عـن المصـطلحات، التـي لا يمكـن فهـم الكلام العرفاني، إلا إن فهمت هذه المصـطلحات، يقـول مرتضـىٰ مطهـري: «فبدون التعـرف علىٰ مصـطلحاتهم الكثيـرة لا يمكـن فهـم مقاصـدهم، بـل نصل أحيانـاً إلىٰ مفاهيم مضادة لما يرمون إليه»[2].

وهـذا يـدلنا علـىٰ أن لعرفـاء الشـيعة، الـذين آمنـوا بالفلسـفة الصـوفية الإشراقية، **ومنهم فلاسفة النظام الإيراني، منهجين عقديين متناقضين، هما:**

(١) المنهج المتفق مع السائد في المجتمع الشيعي، وهو مـنهج يقـوم علـىٰ التظاهر بالإيمان بالعقائد المعروفة في المجتمع الشيعي، سواء أكان في التوحيـد، أو في القضـاء والقـدر، أو فيمـا يتعلـق بالإمامـة وبالمهـدي المنتظر، إلىٰ غير ذلك من العقائد الموجودة في المذهب الشيعي.

(٢) المنهج المتفق مع الفلسفة الصوفية، التي قررها ابن عربي، ومن بعـده مـن العرفـاء، سـواء أكـانوا صـوفية أو شـيعة، فإنهمـا في الحقيقـة شـيء واحـد، يقـول مرتضـىٰ مطهـري: «لـم ينسـب للعرفـاء والمتصـوفة أي انقسام مذهبي في الإسلام، وهـم أنفسهم لا يدعون تميزاً كهذا، بل لهـم

(١) مصباح الهداية إلىٰ الخلافة والولاية للخميني ص ٩٠.
(٢) الكلام والعرفان لمرتضىٰ مطهري ص١٢٠.

حضـور في كـل الفـرق والمـذاهب الإسـلامية، لكـنهم في نفـس الوقـت يشكلون فريقـاً مترابطـاً ومنظومة اجتماعية مترابطة»(١).

فنحن إذن أمام نظام إيراني يتبنىٰ نوعين مـن التشيع، لا يمكـن الجمـع بينهما أبدًا؛ لأنهما يتناقضان تناقضًا تامًا، ولا يمكن القـول بأحـدهما إلا مـع إبطال الآخر، ورفضه بالكلية.

وهـذا هـو مـوطن الإشـكال الـوارد علـىٰ شـرعية ولايـة الفقيـه؛ فـإن المـذهب الشـيعي يقـوم بكليتـه علـىٰ ضـرورة وجـود إمـام معصـوم حـافظ للشرع؛ لأنه لو لـم يكن معصومًا لجاز عليه الخطأ؛ فلا يكون حافظًا للشرع، يقول ابن المطهر الحلي: «الإمـام يجـب أن يكـون حافظًـا للشـرع، لانقطـاع الوحي بموت النبي - ص - وقصـورِ الكتـاب والسنة عـن تفاصـيل أحكـام الجزئيات الواقعة إلىٰ يوم القيامة، فلا بد مـن إمـام منصـوب مـن الله تعـالىٰ، معصوم من الزلل والخطأ، لئلا يَترك بعـض الأحكـام أو يزيـد فيهـا عمـدًا أو سهوًا»(٢).

وفي التأكيد علىٰ أهمية اشتراط عصـمة الإمـام، وبيـان ارتباطهـا بحفـظ الشرع، يقول المفيد: «فإن قيـل: مـا الـدليل علـىٰ أن الإمـام يجـب أن يكـون معصـوما؟ فـالجواب: الـدليل علـىٰ ذلـك مـن وجـوه... الثالـث: إنـه حـافظ للشرع فلو لـم يكن معصوما لـم يؤمن عليه الزيادة فيه والنقصان منه»(٣).

(١) الكلام والعرفان لمرتضىٰ مطهري ص٦٥.
(٢) منهاج الكرامة للحلي ص١١٤.
(٣) النكت الاعتقادية للمفيد ص٤٠.

وفي شرح وجه الإشكال الوارد علىٰ المذهب الشيعي عمومًا، وعلىٰ ولاية الفقيه خصوصًا، نقول: بما أن المذهب الشيعي مذهب قائمٌ علىٰ ضرورة وجود إمام معصوم حافظ للشرع، ثم تطور مع الزمن، وأخذ ينادي بولاية الفقيه، زاعمًا أن الولي الفقيه هو القائم مقام المنتظر الغائب، يقول الخميني: «وبما أن حكومة الإسلام هي حكومة القانون، فالفقيه هو المتصدي لأمر الحكومة لا غير، هو ينهض بكل ما نهض به الرسول (ص) لا يزيد ولا ينقص شيئًا فيقيم الحدود كما أقامها الرسول ويحكم بما أنزل الله»[1]. فإن هذا التطور في مذهبهم في الإمامة؛ أدىٰ إلىٰ ظهور سؤال مركزي، هو: من هو الحافظ للشريعة أثناء غيبة الإمام؟

إن قيل: إن الإمام المعصوم الغائب يحفظ الشرع بنفسه، وأما ما ذكره الخميني من أن الولي الفقيه هو المأمور بحفظ المذهب الشيعي، فليس بدقيق. قيل: هذا الاحتمال غير صحيح؛ فإن الخميني بنفسه قد زعم أنه نائب عن الإمام المعصوم الغائب، ونصب نفسه وليًا فقيهًا علىٰ المذهب الشيعي، ومع هذا فإنه هو بنفسه قد آمن بالعرفان الصوفي، المناقض للتشيع بالكلية. وكذلك فعل من بعده؛ فإن حسينا المنتظري قد ألف في فلسفة العرفان، وسعىٰ في نشرها. وكذلك الولي الفقيه المعاصر، فإنه وإن لم تكن له مؤلفات فلسفية مثل الولي الفقيه السابق، إلا أن نظامه يرتبط بعلاقات وثيقة مع أكابر العرفاء الشيعة، ثم هو بنفسه يسعىٰ في تمهيد الطريق أمامهم، ويمكنهم من نشر علومهم العرفانية، القائمة علىٰ الإيمان بفلسفة ابن عربي.

---

(١) الحكومة الإسلامية للخميني ص٧٠.

وهـذا دال علىٰ فسـاد القـول بـأن الإمـام المعصـوم الغائـب هـو مـن يحفـظ الشرع؛ لأنه لو كان حافظًا للشرع، لما تمكـن الـولي الفقيـه مـن بـث عقائـد مناقضة للعقائد التي سادت في المجتمع الشيعي لقرون طويلة.

وإن قيل: إن الولي الفقيه هو النائب عـن الإمـام المهـدي، وهـو مـن يقـوم بحفظ الشريعة. قيل: هذا ما يدل الواقع علىٰ بطلانه؛ فـإن الـولي الفقيـه قـد أتـىٰ بعقائد مناقضة لما كان عليه المجتمع الشيعي خـلال القـرون الماضيـة، بـل إنـه دعم العرفـان الصـوفي بكـل مـا أوتي مـن قـوة، وبسـبب دعـم نظـام الـولي الفقيـه للعرفان الصوفي، فشا القول به في المجتمعات الشيعية، علىٰ نحـو لـم يشـهد لـه التاريخ مثيلًا؛ فبطل القول بأن الولي الفقيه هو الحافظ للمذهب الشيعي.

وإن قيـل: إن الإمـام المعصـوم الغائـب، يحفـظ المـذهب الشـيعي، بواسطة المراجع المؤمنة بالتشيع التقليدي، الذي ساد المجتمع الشـيعي في الأزمنـة الماضـية. قيـل: هـذا الاحتمـال احتمـال باطـل؛ فإنـه لا يوجـد مـن المراجع الشيعية من أعلن النكير علىٰ العرفان الشيعي، ولا يوجد منهم مـن صرح بأن المؤمن بالعرفان الشيعي خارج من المذهب الشيعي. ولا يستثنىٰ من هذا إلا بعض الفتاوىٰ، التـي تصـدر بـين الفينـة والأخـرىٰ، وهـي فتـاوىٰ ضـعيفة الانتشـار، لا يصـح أن توصـف بأنهـا قـد حافظـت علـىٰ المـذهب الشيعي من التأثر بالعرفان والفلسفة الصوفية.

ومما يدل علىٰ أن هذه الفتاوىٰ لا يصح أن يقال إنها قد حافظـت علـىٰ المذهب الشيعي من التأثر بالفلسفة الصوفية: أن تأثيرها المجتمعي ضعيف مقارنة بالتأثير المجتمعي الحاصل للشخصيات العرفانيـة؛ فإنهـا عبـارة عـن فتاوىٰ مكتوبـة، لا يطلـع عليهـا إلا أفـراد مـن أبنـاء المـذهب الشـيعي، وأمـا

الشخصيات الشيعية المؤمنة بالعرفان، والمعظمة لابن عربي ولغيرها من الشخصيات الفلسفية الصوفية، فإنها تتصدر القنوات الإعلامية، وتحظىٰ بالدعم من المرجعيات الشيعية المؤمنة بولاية الفقيه.

وهذا مما يبين أن نشر العرفان الصوفي في المجتمع الشيعي، مشروع مدروس، قام عليه الخميني بنفسه، الذي سعىٰ إلىٰ صبغ المذهب الشيعي بالصبغة الفلسفية العرفانية، التي وضعها عرفاء الشيعة، ومنهم حيدر الآملي، الذي ذكر الغاية من تأليفه لكتابه: جامع الأسرار ومنبع الأنوار. قائلًا: «هذا الكتاب مشتمل علىٰ أعظم أقوال الصوفيّة والشيعة، ومعارضاتهم ومجادلاتهم، وأقوال علماء الظاهر أيضا استشهادا، وأقوال الأنبياء والأولياء عليهم السلام كذلك. وكان الغرض من ذلك أن يصير الشيعة صوفيّة والصوفيّة شيعة! ومعلوم أنّ هذا أمر صعب وشغل خطير»[1].

وليس المراد: أن النظام الإيراني سيسعىٰ في تحويل المجتمع الشيعي، من مجتمع يقوم علىٰ التشيع العام، والإيمان بأن الإمامة محصورة في أهل البيت، إلىٰ مجتمع صوفي، مماثل للفئات الصوفية الموجودة في المجتمع السني؛ فإن هذا يتعارض مع النزعة الطائفية التي يتبناها نظام الولي الفقيه، والتي يسعىٰ في استغلاها من أجل الحصول علىٰ المزيد والمزيد من النفوذ الإقليمي. وإنما المراد: أن نظام الولي الفقيه سيقوم بالسعي لإحداث مراجعات فكرية في المجتمع الشيعي، يكون هدفها: تحويل المجتمع الشيعي شيئًا فشيًا من العقائد الموروثة والمعروفة في الكتب الروائية

(١) جامع الأسرار ومنبع الأنوار لحيدر الآملي ص٦١١.

والكلامية الشيعية، إلىٰ العقائد المأخوذة من التصوف الفلسفي عمومًا، ومن فلسفة ابن عربي خصوصًا.

ومن المؤكد أن سعي نظام الولي الفقيه لجعل الفكر الفلسفي الصوفي فكرًا مقبولًا في المجتمع الشيعي الذي سار قرونا طويلة علىٰ رفض الفلسفة عمومًا، والفلسفة الصوفية خصوصًا، سيكون سعيًا مدروسًا؛ لأن إحلال الثقافة الفلسفية الصوفية محل الثقافة الشيعية التقليدية، سيواجه بممانعة من المجتمع الشيعي، وحصول الصدام مع المجتمع الشيعي، شيء لا يمكن لنظام الولي الفقيه أن يقدم عليه؛ لأن الغاية النهائية لهذا النظام: الحصول علىٰ النفوذ الإقليمي، ومصادمته للمجتمع الشيعي العربي، ستأتي بنتائج عكسية.

وعلىٰ هذا الأساس نفهم موقف المراجع الشيعية الموالية للولي الفقيه، من المرجع الشيعي: كمال الحيدري، الذي يعتبر أحد أهم وأنشط الفلاسفة العرفاء في المجال الإعلامي، ومع أنه يصرح بأنه لا يمكن اعتبار «الخميني في منهجه صاحب مدرسة عرفانية مستقلّة، بل هو امتداد وحلقة علىٰ خطّ المدرسة العرفانيّة، ولم يضف الإمام أيّ شيء علىٰ نفس المدرسة العرفانيّة التي وضع أُسسها محيي الدين بن عربي»[1]. ومع أنه موافق لفلاسفة النظام الإيراني في الإيمان بالأسس الفلسفية العرفانية، إلا أن هذا لم يحل بين المراجع الشيعية الموالية للولي الفقيه، وبين مهاجمتهم له؛ فإن هذه المراجع قد أخذت منه موقفًا حادًا، وسعت في التحذير منه؛ لما

(١) العرفان الشيعي لكمال الحيدري ص ٤٠٦.

رأوا أن مواقفه المصادمة للمجتمع الشيعي، والساعية إلىٰ نشر الفلسفة العرفانية في المجتمع الشيعي، بلا تدرج أو تهيئة مجتمعية، قد تؤدي إلىٰ خسائر سياسية تلحق بمشروع الولي الفقيه التوسعي.

وكنظرة استشرافية، تقوم علىٰ تحليل الواقع، وتخيل كيف يمكن أن يكون المستقبل في العلاقة بين نظام الولي الفقيه وبين المجتمع الشيعي عمومًا، والشيعة العرب خصوصًا، يمكن أن نرسم صورة تقريبية، تقوم علىٰ توقع علاقة نظام الولي الفقيه بكل من: التشيع الفلسفي. والتشيع الكلامي. وأن هذا النظام سيعمل علىٰ:

١- إبقاء التعليم الفلسفي العرفاني نخبويًا، لا يطلع علىٰ أسراره إلا الخاصة من علماء الشيعة، الذين سيكون لهم حظوة في نظام الولي الفقيه، وستكون لهم الكلمة العليا، وإن شاركهم غيرهم من الفقهاء أو الخبراء في رسم مستقبل ولاية الفقيه، فإن الكلمة الفصل ستكون عند هؤلاء العرفاء.

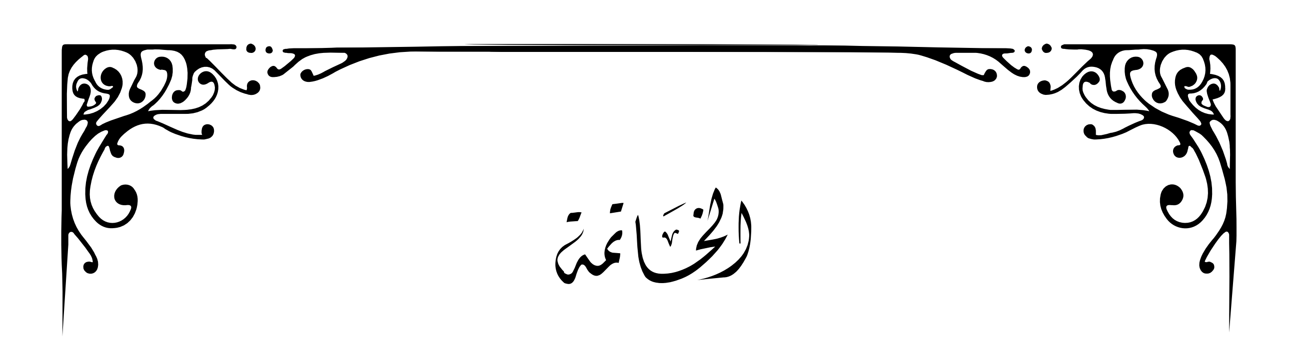
٢- دعم الجامعات والكليات والمؤسسات التعليمية، والقنوات الإعلامية المؤمنة بالعرفان الشيعي؛ للتقريب بين الشيعة العرب وبين الفلسفة الصوفية، مع الحرص علىٰ كتم حقيقة العرفان، والحيلولة دون إدراك الشيعة العرب لحقيقته الفلسفية، المؤمنة بوحدة الوجود.

وبهذا فإن الولي الفقيه سيذيب الممانعة المجتمعية للفلسفة الصوفية، بل سيجعل من الشخصيات الفلسفية الصوفية مثل ابن عربي شخصيات مقبولة في المجتمع الشيعي، وفي الوقت نفسه فإنه سيحافظ علىٰ المبادئ الأساسية في الفلسفة الإشراقية، والتي تؤكد علىٰ ضرورة بقاء الأسرار

العرفانية سرًا لا تطلع عليه الجماهير.

وبالعودة إلىٰ الهدف الرئيس لهـذا البحث، نجد أن قيام نظام الولي الفقيه علىٰ الفلسفة الصوفية عمومًا، علىٰ أفكار ابن عربي، وما نادىٰ به ذلك الفيلسوف من وحدة الوجود؛ سيطرح سؤالًا مفاده:

◄ ما مدى شرعية دعوى الولي الفقيه أنه هو النائب عن المهدي المنتظر؟



الخاتمة

بنهاية هذا البحث، نجد أن شرعية ولاية الفقيه، قائمة على القول بوجود محمد بن الحسن العسكري، المعروف شيعيًا بالإمام الثاني عشر، الذي حرص علماء الشيعة على الاستدلال على وجوده؛ لأن الشك في وجوده، سيؤدي إلى الشك في المذهب الشيعي بكليته، ما يلزم منه: تعريض نظرية الإمامة الاثني عشرية لخطر الزوال، أو ضعف أثرها على أقل تقدير.

والذي يتفق عليه العقلاء: أن الأصل منع وجود الولد، إلا بدليل يدل على وجوده. وبما أن الحسن العسكري قد مات بلا ولد ظاهر؛ فإن الواجب المتعين: منع القول بوجود الولد؛ لأنه لم يثبت. وعلماء الشيعة يوافقون على شطر من هذا، ولكن مع المخالفة في الشطر الثاني؛ فإنهم لا يقولون بوجود الولد الظاهر، ولكنهم لا يرون أن ظهور الولد شرط في إثباته، إذ هم يذهبون إلى أنه قد ولد للحسن العسكري ولد في السر، مستدلين على صحة قولهم بروايات منسوبة إلى أهل البيت، وبمرويات تاريخية، وهي روايات قد درسها جميعها الباحث الشيعي: أحمد الكاتب، وخلص في نهاية بحثه إلى أن الروايات الشيعية الذاهبة إلى ولادة محمد بن الحسن العسكري، روايات باطلة كلها[1].

---

(١) انظر: تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، لمؤلفه: أحمد الكاتب، وهو من أشمل الكتب التي ناقشت الأدلة التي استدل بها الشيعة على صحة قولهم بوجود محمد بن الحسن العسكري. ومع ما قام به أحمد الكاتب من مناقشة لهذه الأدلة في مؤلفاته، فإن له موادًا مرئية كثيرة، موجودة على قناته في اليوتيوب، وهي بمجموعها تدل على بطلان القول بولادة محمد بن الحسن العسكري.

وأما الدليل الذي عليه المعول عند الشيعة، فهو الدليل العقلي، حيث ذهبوا إلىٰ أن الأرض لا تخلو من إمام معصوم، ولو خلت من هذا الإمام المزعوم فيه العصمة؛ لساخت بأهلها، ومما يستدلون بها علىٰ قولهم هذا، ما رواه الصدوق عن «سليمان جعفر الحميري قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت: تخلو الأرض من حجة؟ فقال عليه السلام: لو خلت الأرض طرفه عين من حجة؛ لساخت بأهلها»[1]. وبما روىٰ الكليني «عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها، كما يموج البحر بأهله»[2]. وبما أن الأرض لم تسخ بأهلها، ولم تمج بهم كموج البحر؛ فإن محمد بن الحسن العسكري موجود بالفعل.

وهذا الدليل الذي أقامه علماء الشيعة؛ لإثبات وجود محمد بن الحسن العسكري، دليل قد أتت عليه ولاية الفقيه من أساسه، ودلت دلالة قطعية علىٰ بطلانه؛ فإن الولي الفقيه يؤمن بالفلسفة الصوفية التي أسسها ابن عربي، وعلىٰ هذا التصوف الفلسفي قام العرفان الشيعي، الذي ينظر إلىٰ المهدي المنتظر، نظرة مغايرة ومباينة للنظرة المعروفة في الفكر الشيعي، فإنه - أي: العرفان الشيعي - لم يعد ينظر إلىٰ المهدي المنتظر علىٰ أنه شخص واحد بالعين، وأنه: محمد بن الحسن العسكري، بل صار ينظر إلىٰ الإمام المعصوم علىٰ أنه مرحلة من مراحل كمال النفس البشرية، فالإنسان يسعىٰ في طلب الكمال، متدرجًا في درجاته، إلىٰ أن يصير هو بذاته إنسانا كاملًا.

---

(١) عيون أخبار الرضا للصدوق ج٢ ص٢٤٧.

(٢) الكافي للكليني ج١ ص١٧٩.

ومتىٰ ما وصل السالك لطريق العرفان، إلىٰ درجة الإنسان الكامل؛ فإن المهدي المنتظر سيظهر له، ويكون هو بذاته الإمام المعصوم، وبهذا نجد أن العرفان الشيعي لم يعد يفسر خروج المهدي علىٰ أنه خروج لمحمد بن الحسن العسكري، بل صار خروج المهدي عبارة عن خروج السالك للعرفان الشيعي من الاعتقادات التي كان يؤمن بها، ودخوله في الإيمان التام بالعرفان النظري، والإيمان بالعرفان النظري شيء لا يمكن أن يحصل، إلا لمن حقق العرفان العملي، الذي هو عبارة عن الرياضات الصوفية، التي يتمكن القائم بها من رؤية المهدي، يقول آية الله عبدالله جوادي الآملي: «لا بد من التشرف المباشر أو غير المباشر بالمحضر النوري لإمام الزمان عجل الله فرجه الشريف من التوفر علىٰ لياقة وأهلية خاصة؛ ولذا لا يمكن إلا للأوحدي من المؤمنين الموحدين أن ينال التشرف بمحضره المطهر»[1].

ولا شك أن ما قدمه فلاسفة النظام الإيراني من تفسير فلسفي للإمامة والإمام، دال علىٰ أنهم لا يؤمنون بوجود محمد بن الحسن العسكري إيمانا حقيقيًا، وأنهم في نظرتهم إلىٰ الإمامة، قد جعلوها مرتبة كسبية، موافقين ابن عربي الصوفي، ومخالفين المذهب الشيعي التقليدي، يقول موسىٰ الصدر: «يناقض مفهوم الإمام ومفهوم الولي عند الاثني عشريين مفهوم القطب عند الصوفية كليًا، فالإمام كما قلنا مثل كامل، والولي هو الحاكم بكل ما للكلمتين من معنىٰ وآثار ونتائج وأهمية. أما القطب بمعناه الظاهري عند

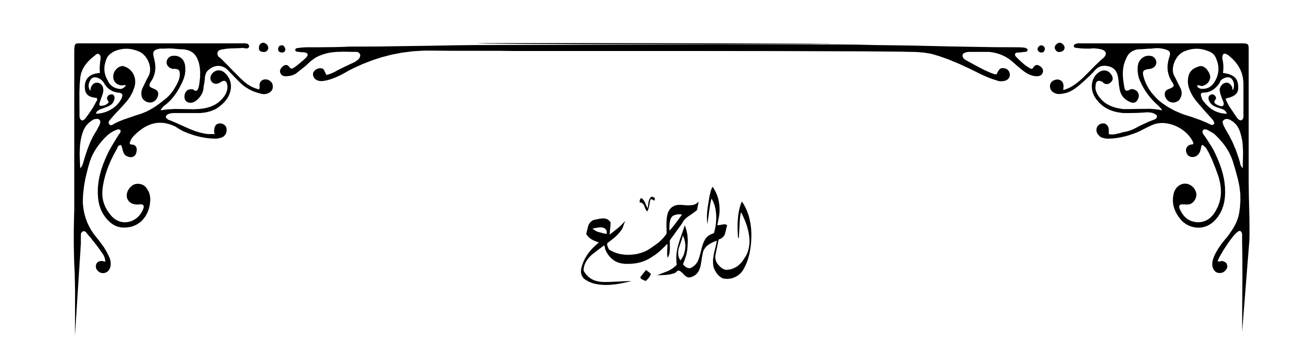
(١) الإمام المهدي الموجود الموعود لعبدالله جوادي الآملي ص٢١٤.

الصوفية فهو المربي الذي يأخذ بيد السالك خطوة خطوة في طريقه الوعر الشائك المحدث بالأخطار وبالانحرافات لكي يوصله إلى الكمالات الإنسانية، ويباشر القطب، وهو الإنسان الكامل»[١].

وبما أن شرعية ولاية الفقيه مبنية على القول بوجود محمد بن الحسن العسكري، وبما أن ولاية الفقيه لا تقوم على الإمامة الشيعية التقليدية إلا في الظاهر، وأما في الباطن فتقوم على التصوف الفلسفي، وعلى نظرية الإنسان الكامل؛ فإن لازم هذا: أن دعوى نيابة الولي الفقيه عن محمد بن الحسن العسكري، دعوى كاذبة جملة وتفصيلًا.

---

(١) مقدمة موسى الصدر لكتاب تاريخ الفلسفة الإسلامية لهنري كوربان ص٢٥.



المراجع

(١) أجوبة المسائل المهنائية، تأليف: ابن المطهر الحلي، المطبعة: الخيام. قم، الطبعة الثامن: ١٤٠١.

(٢) الاختصاص، تأليف: المفيد، تحقيق: علي الغفاري - محمود الزرندي، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ. - ١٩٩٣ م.

(٣) آداب الصلاة، تأليف: الخميني، الناشر: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، الطبعة الخامسة: ٢٠٠٣م.

(٤) الأربعون حديثاً مع شرح للمصطلحات الفلسفية والعرفانية والفقهية والروائية، تأليف: الإمام السيد روح الله الموسوي الخميني، تعريب: محمد الغروي، دار زين العابدين، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

(٥) أعيان الشيعة، تأليف: محسن الأمين، تحقيق وتخريج : حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان.

(٦) الإمامة، تأليف: الشهيد الشيخ مرتضى المطهري، ترجمة: جواد علي كسار، دار الحوراء للطباعة والنشر والتوزيع.

(٧) الإنسان الكامل، تأليف: مرتضى المطهري، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، مؤسسة البعثة، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٨) بحار الأنوار، تأليف: المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٩) تاريخ الفلسفة الإسلامية، منذ الينابيع حتىٰ وفاة ابن رشد، تأليف: هنري كوربان، ترجمة: نصير مروة، حسن قبيسي، راجعه وقدم له: الإمام موسىٰ الصدر - عارف تامر، عويدات للنشر والطباعة، بيروت ـ لبنان.

(١٠) التشيع الفلسفي عند الشيعة الاثني عشرية، المؤلف: د. عبدالله بن سلمان الفيفي، الناشر: دار طيبة الخضراء، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.

(١١) تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورىٰ إلىٰ ولاية الفقيه، المؤلف: أحمد الكاتب، الأردن، عمان، الطبعة الأولىٰ: ١٩٩٧م.

(١٢) تعليقات علىٰ شرح فصوص الحكم ومصباح الأنس: تأليف: الخميني، الطبعة الأولىٰ، مؤسسة پاسدار اسلام - تهران، ١٤٠٦.

(١٣) تعليقة علىٰ نهاية الحكمة، المؤلف: محمد مصباح اليزدي، الناشر: مؤسسة في طريق الحق، الطبعة الأولىٰ: ١٤٠٥هـ.

(١٤) تفسير الصراط المستقيم، تأليف: حسين البروجردي تحقيق: غلام رضا مولانا البروجردي، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، الطبعة الأولىٰ: إيران١٤٢٢.

(١٥) التوحيد، تأليف: مرتضىٰ مطهري، ترجمة: إبراهيم الخزرجي، دار المحجة البيضاء، الطبعة الثانية: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

(١٦) جـامع الأسـرار ومنبـع الأنـوار، تـأليف: حيـدر الآملـي، المطبعـة : شركت انتشارات علمى و فرهنگى، سنة الطبع: ١٣٦٨.

(١٧) الحكومة الإسلامية، تأليف: الخميني، الطبعة الثالثة.

(١٨) ختم النبـوة، مرتضـى مطهـري، ترجمـة: عبـد الكـريم محمـود، دار المحجة البيضاء، دار الرسول الأكرم.

(١٩) رسائل ومقالات، تـأليف: جعفـر الشيـخ السبحاني، الطبعـة الأولـى، مؤسسة الإمام الصادق، توزيع: مكتبة التوحيد، ١٤١٩.

(٢٠) الرسائل، تأليف: الخميني مع تـذييلات لمجتبـى الطهـراني، مؤسسـة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع.

(٢١) سر الصلاة، تأليف: الخميني، تعريب وتعليـق: أحمـد الفهـري، نشـر دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

(٢٢) شرح دعاء السحر، تأليف: الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام الخميني – تهران، الطبعة الأولى: ١٤١٦.

(٢٣) العدل الإلهي، تأليف: مرتضى المطهري، ترجمة: محمد عبد المنعم الخاقاني.

(٢٤) العرفان الشيعي، تقرير بحث السيد كمـال الحيـدري، للشيـخ خليـل رزق، المراجعة اللغوية: عبد الرضا عبد الحسين، دار فراقد للطباعـة والنشر، إيران، قم، الطبعة الأولى: ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

(٢٥) عيـون أخبـار الرضـا، تـأليف: الصـدوق، تحقيـق: تصـحيح وتعليـق وتقديم: حسين الأعلمي، الطبعة: بدون، ١٤٠٤ – ١٩٨٤ م.

(٢٦) الفلسفة، تأليف: مرتضىٰ المطهري، ترجمة: حسن علي الهاشمي، راجعه وأعد أسئلته: الشيخ حسين بلوط، دار الولاء، بيروت ـ لبنان.

(٢٧) القراءة المنسية، تأليف: د. محسن كديور، تعريب د. سعد رستم، الانتشار العربي، الطبعة الأولىٰ: ٢٠١١م.

(٢٨) الكافي، تأليف: الكليني، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، الطبعة الثالثة، ١٣٦٧ه ش، دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٢٩) الكلام والعرفان، تأليف: مرتضىٰ المطهري، تعريب: الشيخ علي خازم، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

(٣٠) الكلام، مرتضىٰ المطهري، ترجمة: حسن علي الهاشمي، مراجعة وإعداد حسين بلوط، الناشر: دار الولاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولىٰ: جميع الحقوق محفوظة، ٢٠٠٩م ـ ١٤٣٠هـ.

(٣١) لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الإفريقي، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

(٣٢) محاولة للبحث في العرفان الإسلامي، المؤلف: محمد تقي مصباح اليزدي، ترجمه إلىٰ العربية: محمد عبدالمنعم الخاقاني، الناشر: دار التعارف للمطبوعات.

(٣٣) المسائل السروية، تأليف: محمد بن محمد بن نعمان ابن المعلم العكبري البغدادي.

(٣٤) مصباح الهداية إلىٰ الخلافة والولاية، تأليف: الخميني، تقديم : السيد جلال الدين الآشتياني، مؤسسة تنظيم و نشر آثار إمام خميني، الطبعة السادسة: ١٣٨٦ه ش.

(٣٥) المعاد والقيامة في القرآن الكريم، المؤلف: عبدالله جوادي الآملي، دار الصفوة بيروت - لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٣٦) المعاد، تأليف: مرتضىٰ المطهري، ترجمة: جواد علي كسار، دار الحوراء للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣٧) معجم ألفاظ الفقه الجعفري: د. أحمد فتح الله، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.

(٣٨) معجم مقاييس اللغة، المؤلف : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق : عبدالسلام محمد هارون، الناشر : دار الفكر، الطبعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٣٩) مقدمة جعفر السبحاني علىٰ موسوعة طبقات الفقهاء ج٢ص ٢٢٦. تأليف اللجنة العلمية بمؤسسة الإمام الصادق الطبعة الأولىٰ: ١٤١٨.

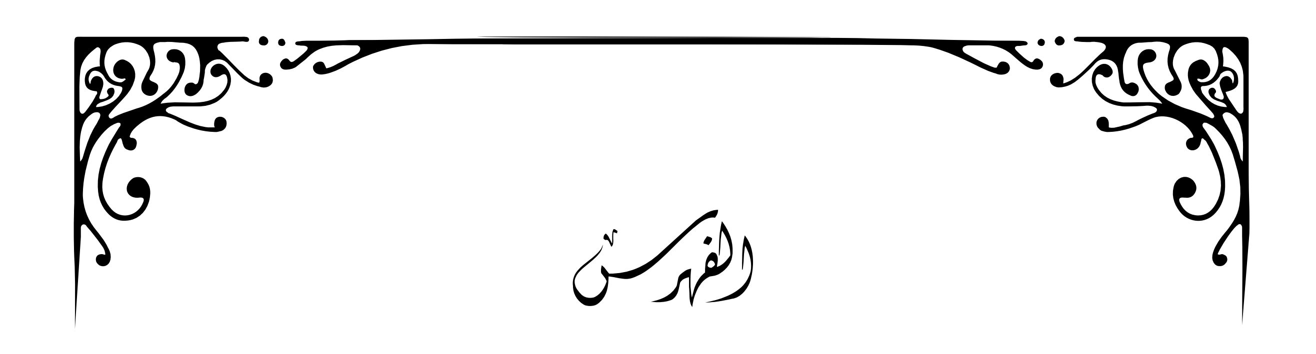
(٤٠) من المبدأ إلىٰ المعاد (في حوار بين طالبين) المؤلف: حسين المنتظري الناشر: انتشارات دار الفكر، قم، الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٥ه.

(٤١) منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، المؤلف: ابن المطهر الحلي، تحقيق: عبد الرحيم مبارك، الناشر: مؤسسة عاشوراء للتحقيق والدراسات الإسلامية.

(٤٢) النبوة، تأليف: مرتضىٰ مطهري، نقله إلىٰ العربية: جواد علي كسار، دار الحوراء للطباعة والنشر والتوزيع.

(٤٣) النكت الاعتقادية، المؤلف: المفيد: محمد بن محمد النعمان ابن المعلم أبي عبد الله، العكبري، تحقيق: رضا المختاري، الطبعة الثانية ١٤١٤ هجرية - ١٩٩٣ ميلادية طبعت بموافقة اللجنة الخاصة المشرفة على المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد - دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع بيروت. لبنان.

(٤٤) الوحي والنبوة، المؤلف: عبدالله جوادي الآملي، الناشر: دار الإسراء،١٣٨٧ه ش.



الفهرس

المحتويات	الصفحة


تم بحمد الله